

كلمة الناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(علم الكلام) هو علم يبحث فيه عن المبدأ والمعاد بالأدلة التفصيلية، حيث لا يجوز التقليد في أصول الدين والعقائد، في الجملة، فيلزم على كل مكلف أن يكون اعتقاده بـ (أصول الدين) عن دليل وبرهان.

ومن هنا اشتملت الكتب السماوية ودعوة الأنبياء ﷺ على البراهين العقلية المطابقة للفطرة الإنسانية، ومن بعدهم أخذ كبار العلماء على عاتقهم مسؤولية إرشاد الناس إلى الصحيح من المعتقدات بالأسلوب المنطقي المقبول، وذلك عبر مجالس البحث والحوار الحر، وكتابة الكتب والدراسات المختلفة في هذا الباب.

وقد كتب مؤلفنا الكبير^(١) المرجع الديني الأعلى الإمام الشيرازي قدس سره عدة كتب مختصرة ومفصلة في هذا العلم، منها: (الفقه: العقائد)^(٢) وجعله مدخلاً للموسوعة الفقهية الكبيرة التي دونها للفقهاء والمجتهدين وقد تجاوزت المائة والستين مجلداً.

كما كتب سماحته (القول السديد في شرح التجريد) و(شرح منظومة السبزواري) و(كيف عرفت الله؟) و(الدين والسعادة) و(سلسلة تعريف الشيعة)

(١) تجاوزت مؤلفات الإمام الشيرازي رحمه الله ألف وثلاثمائة كتاب وكراس.

(٢) يقع الكتاب في ٣٩٥ صفحة من الحجم الكبير، من إصدار مركز الرسول الأعظم ﷺ للتحقيق والنشر، وقد طبع في الكويت، وفي لبنان.

و(المعارف الإسلامية) و(ما هو الإسلام) و(المسلم) و(هؤلاء اليهود) و(ماذا في كتب النصاري؟) و(الصائبة في عقيدتهم وشريعتهم) و(بين الإنسان ودارون) و(الإنسان والقرد) و(وقفه مع الوجوديين) و(مباحثات مع الشيوعيين) و(ماركس ينهزم) و(نقد نظريات فرويد) و(نقد المادية الديالكتيكية) و(القوميات في خمسين سنة) و(مائة سؤال حول الثالث) و(كيف ولماذا أسلموا؟) و(البابية والبهائية) و(هل تحب معرفة الله؟) ..

ومنها: (العقائد الإسلامية) الكتاب الذي بين يديك ، وقد ألفه الإمام الشيرازي قبل أكثر من أربعين عاماً في كربلاء المقدسة ، كتبه للمبتدئين وبين فيه العقائد الإسلامية بصورة مبسطة يفهمها الجميع ، وقد زينها بالآيات القرآنية والروايات الشريفة والأدلة العقلية..

ونظراً للاستقبال الكبير على الكتاب ، وبما أنه يدرس في الصف الأول من الحوزة العلمية الزينية المقدسة بسوريا ، ويدرس أيضاً في الدورات الصيفية في العراق ، قمنا بإعادة طبعه سائلين من الباري عز وجل التوفيق والقبول.

دار العلقي للطباعة والنشر

كربلاء المقدسة ص ب ١٠٩٤

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله كما هو أهله ، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين ، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين .

ما أصيب دين كما أصيب الإسلام ، إن الأديان :

أما مفتعلها ، فحسبها إنها مفتعلة ، ولا يرثى كل تحريف وجهل بها .

وأما سماويها : فقد انقضى دورها ، ونفد مجالها ، وكل تحوير - بالنسبة إليها -

وإن كانت جناية كبرى ، وخيانة ليست فوقها خيانة ، إلا أن ذهاب مدتها ، وتصرُّم أجلها ، مغنٍ عن الرثاء ، إذ لا يكلف الناس بعد ذاك بعلمها وعملها .

أما الإسلام : فهو حي وإن وقذه أقوام ، وطود وإن لفته الأعاصير ، وضياء

وإن احتوته الظلمات ، فهو كحي يلحد ، وهو يصيح أنا حي فأنقذوني ولا تقبروني .

ما ظلم دين كما ظلم الإسلام : ظلمه أهله بجهلهم ، وظلمه أعداؤه

بعسفهم .. فهو بين أهله بعيد ، وفي دياره غريب .

لذا : يجب على كل مسلم أن يدفع هذا الظلم الذي وقع عن عمد ولا

عمد ، وينجي هذا المظلوم عن براثن مستغليه وجاهليه .

وبدء الدفاع : القلم واللسان ، فمن اللازم أن تتحرك الأقلام ، وتنطلق

الأسنة وتتيقظ الضمائر ، فتجلي الإسلام : مبدؤه ومعاده ، نبوته وإمامته ،

سياسته وتنظيمه، عدله وحكمته، دينه ودولته، .. وتعرضه على الناس، فمن شاء رغب وأخذ، ومن شاء ترك ورفض: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾^(١).

ونحن - بدورنا - نريد أن نعرض شطراً من العقيدة الإسلامية التي هي الأساس، على ضوء القرآن والحديث والعقل في هذه الأوراق، ويكفيني أن أقوم بما ظننته واجباً، والله المستعان.

كربلاء المقدسة
محمد بن المهدي الحسيني الشيرازي
١٣٧٨هـ

(١) سورة الانفال: ٤٢.

أصول الدين

١ : التوحيد

٢ : العدل

٣ : النبوة

٤ : الإمامة

٥ : المعاد

الفصل الأول: التوحيد

الله

هل للكون إله خلقه ونظّمه؟

هذا سؤال يدور بخلد كثير، وخصوصاً الشيبه: يا ترى! لنا إله خلقنا، كما يقول المؤمنون، أم هذا شعور تبع المجتمع، وخضوع لمجهول خلقه ضعف الإنسان في القرون الوسطى وما قبلها؟

إن الإجابة على هذا السؤال ليس صعباً، وإن استصعبه بعض المؤمنين بتوسيع المجالات الفلسفية وتباعد الطريق الموصل إليه، والملحدون بتكوين الشبهات المختلفة وترتيب المغالطات السفطية.

هل رأيت بناءً بغير مهندس وبناء؟

أم هل رأيت مصنوعاً بغير صانع؟

إن عقرب الساعة وإن كان في غاية الصغر لا بد وأن يكون له صانع، فكيف بالعالم الواسع، الذي يلف بين جوانحه شمساً مضيئة وقمرًا منيرًا، ماءً وهواءً، وأرضاً ونباتاً، وحيواناً وإنساناً؟

كل تحت نظام، ولا يحيد عن القانون العام شيء إلا فسد وأفسد.

هل النظام من قبل نفسه، أم ليس له منظّم؟

كلا! لا يقوم نظام إلا بمنظم، ولا تتكون حركة إلا بمحرك، ولا يكون شيء حادث إلا بصانع.

فالمنظم هو الله تعالى، والمحرك هو الله سبحانه، والصانع هو الله عز وجل.

وقد ألع القرآن الحكيم إلى هذا الأمر الفطري في عدة آيات:

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ

وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١﴾.

وقال سبحانه: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ * وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مَّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرُوعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَلُ بَعْضُهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢﴾.

وقال عز وجل: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَتَأْكُمُ مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾.

وقال رجل للإمام الصادق عليه السلام: ما الدليل على صانع العالم؟

فقال الإمام الصادق عليه السلام: «وجود الأفاعيل التي دلت على أن صانعها صنعها، ألا ترى أنك إذا نظرت إلى بناء مشيد مبني، علمت أن له بانياً، وإن كنت لم تر الباني ولم تشاهده؟»^(٤).

ودخل أبو شاكر الديصاني - وهو زنديق - على الإمام الصادق عليه السلام فقال

(١) سورة البقرة: ١٦٤.

(٢) سورة الرعد: ٢-٤.

(٣) سورة إبراهيم: ٣٢-٣٤.

(٤) راجع الاحتجاج: ص ٣٣٢ احتجاج أبي عبد الله الصادق عليه السلام في أنواع شتى من العلوم...

له: يا جعفر بن محمد! دلني على معبودي!

فقال الإمام الصادق عليه السلام: اجلس، فإذا غلام صغير في كفه بيضة يلعب بها.. فقال الإمام الصادق عليه السلام: ناولني يا غلام البيضة!
فناولها إياها.

فقال الإمام الصادق عليه السلام: يا ديصاني هذا حصن مكنون، له جلد غليظ،
وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق، ذهب مائعة وفضة ذائبة.. لا يدرى للذكر
خلقت أم للأنثى، تنفلق عن مثل ألوان الطواويس، أترى له مدبراً؟!
فأطرق ملياً! ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد
أن محمداً عبده ورسوله، وأنت إمام وحجة من الله على خلقه، وأنا تائب مما
كنت فيه^(١).

(١) الاحتجاج: ص ٣٣٣، احتجاج أبي عبد الله الصادق عليه السلام في أنواع شتى من العلوم...، وراجع التوحيد: ص ١٢٣ باب القدر.

التوحيد

هل لهذا الكون الرب إله واحد، أم إلهان، أم أكثر؟
يقول بعض الفرق: الإله اثنان.
وتقول فرقة أخرى: الإله ثلاثة.
وهناك شواذ يقولون: بأن الإله أكثر، وأكثر..
الإجابة على هذا السؤال بسيط، وطبعاً: يجب كل موحد أن الإله واحد.
وما الدليل على ذلك؟

من هو الشريك؟

أولاً: نستفهم من الذين يقولون بتعدد الإلهة، من هو شريك الإله؟
١: تجيب الثنوية: الإلهان هما النور والظلمة.
نقول: النور مخلوق ممكن فلا يكون إلهاً، والظلمة مخلوقة ممكنة، فلا تكون إلهاً، إذاً فمن يقول بتعدد الإله بهذه الحجة، قوله ساقط.
٢: تجيب النصارى: الآلهة هم الله والمسيح وروح القدس.
نقول: المسيح ﷺ كان بشراً، والبشر لا يكون إلهاً. وما هو روح القدس وما الدليل على كونه إلهاً؟ وما الفرق بين روح القدس وسائر الملائكة، حتى احتجز هو وحده بينهم كرسي الألوهية؟
٣: يجيب المشركون: الأصنام هي الآلهة، وهي شريكة لله!.
وعبدة الأبقار يقولون: إن الشريك للإله هي الأبقار!.
نقول: هل الصخرة الصماء التي هي في مرتبة أنزل من الحيوان تصلح للألوهية؟

أم هل البقرة العجاء التي هي في مرتبة أنزل من الإنسان تصلح للألوهية؟

إن هذه الأقوال عند العقلاء إلا خرافة لا تستحق التدوين والمذاكرة. وقد عرض القرآن هذه الآراء التافهة عرضاً سريعاً منبهاً لما فيها من الخرافة والسخافة. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا * إِنَّ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا * أَيِ أَصْنَامٍ هِيَ اللَّاتُ وَالْعُزَّى وَمَنَاثَ...﴾ ﴿وَأِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾^(١).

وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾^(٢).

وقال عز وجل: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُون﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ...﴾^(٤).

وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ﴾^(٥).

وقال عز وجل: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صَدِيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ...﴾^(٦).

(١) سورة النساء: ١١٦-١١٧.

(٢) سورة يونس: ١٠٤-١٠٦.

(٣) سورة النحل: ٥١.

(٤) سورة المائدة: ١٧.

(٥) سورة المائدة: ٧٣.

(٦) سورة المائدة: ٧٥.

وقال تعالى: ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾^(١).

فساد العالم

ثانياً: نقول لو كان في العالم أكثر من إله واحد، لزم التنازع والتشاجر بين الآلهة، وفسد نظام العالم، فإذا أراد هذا الإله شيئاً، وأراد الإله الآخر ما ينافيه، تشاجر الإلهان، فأفسدوا العالم. فعدم الفساد يدل على وحدة الإله.

النظام الموحد

ثالثاً: نظام العالم نظام موحد، يرتبط كل شيء منه بالشيء الآخر، فلولا الماء لم يكن نبات، ولولا النبات لم يكن حيوان، ولولا النبات والحيوان لم يكن إنسان.

ولولا الشمس لم يكن موجود حي، ولولا الهواء لم يعقل وجود شيء نام. حتى أن العلماء يذكرون: إن بقاء الإنسان يرتبط - ارتباطاً وثيقاً - بخوافي أجنحة الطير، فلولا الخوافي لم تكن قوادم، ولولا القوادم لم يطير طائر، ولولا الطير لامتلأ الهواء والأرض بالهوام التي تفسد الزرع والضرع، وبفسادهما يهلك الإنسان..

والنظام الموحد، لا يكون إلا من إله واحد.

لزوم التعريف

رابعاً: لو كان إله آخر، لزم أن يُعرّف نفسه، وتظهر آثار ملكه، لكننا لم نعرف عن ذلك شيئاً، فليس في الكون إله ثانٍ.

(١) سورة المائدة: ١٧.

وقد أشار القرآن الحكيم إلى طرف من الاستدلال :

قال تعالى : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾^(١) .
وقال سبحانه : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾^(٢) .

وقال عز وجل : ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ءَالِلَهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ * أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ءَالِلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ * أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ءَالِلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ * أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ حُلَفَاءَ الْأَرْضِ ءَالِلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ * أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرَى بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ءَالِلَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ * أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ءَالِلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(٣) .

وقال رجل للإمام الصادق عليه السلام : ألا يجوز أن يكون صانع العالم أكثر من

واحد؟

فقال الإمام الصادق عليه السلام : « لا يخلو قولك : إنهما اثنان من أن يكونا قديمين قويين ، أو يكونا ضعيفين ، أو يكون أحدهما قويا والآخر ضعيفا .

فإن كانا قويين ، فلم لا يدفع كل واحد منهما صاحبه ، ويتفرد بالربوبية؟ .

وإن زعمت أن أحدهما قوي والآخر ضعيف ، ثبت أنه واحد ، كما نقول

(١) سورة المؤمنون : ٩١ .

(٢) سورة الانبياء : ٢٢ .

(٣) سورة النمل : ٥٩ - ٦٤ .

للعجز الظاهر في الثاني.

وإن قلت: إنهما اثنان، لم يخل من أن يكونا متفقين من كل جهة، أو مفترقين من كل جهة، فلما رأينا الخلق منتظماً، والفلك جارياً، والتدبير واحداً، واختلاف الليل والنهار والشمس والقمر، دلّ ذلك على صحة الأمر والتدبير وائتلاف الأمر وأن المدبر واحد^(١).

وقد أفحم الإمام الرضا عليه السلام رجلاً كان يقول بوجود إلهين بدليل ظريف.. قال الرجل للإمام الرضا عليه السلام: إني أقول إن صانع العالم اثنان، فما الدليل على أنه واحد؟.

قال الإمام عليه السلام: «قولك إنه اثنان، دليل على أنه واحد، لأنك لم تدع الثاني إلا بعد إثباتك للواحد، فالواحد مجمع عليه، وأكثر من واحد مختلف فيه»^(٢).

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام - في وصيته لولده الإمام الحسن عليه السلام أو محمد بن الحنفية عليه السلام على اختلاف الرواية -: «واعلم يا بني أنه لو كان لربك شريك لأتت رسله، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه، ولعرفت صفته وفعاله، ولكنه إله واحد، كما وصف نفسه»^(٣).

(١) الاحتجاج: ص ٣٣٣، احتجاج أبي عبد الله الصادق عليه السلام في أنواع شتى من العلوم.

(٢) التوحيد: ص ٢٦٩ باب الرد على الثنوية و الزنادقة...

(٣) تحف العقول: ص ٧٢ كتابه إلى ابنه.

عالم

الله يعلم كل شيء حتى عدد حبات الرمال، وقطرات مياه البحار، وما تخفي الصدور، وهو تعالى محيط بالماضي والحال والاستقبال.. فيعلم ما حدث، وما هو كائن، ويعلم ما سيكون، لا يعتره نسيان، ولا يسهو عن شيء.. لا فرق في علمه بين الجلي الواضح، والغامض الخفي. وليس علمه مسبوقاً بالجهل، ولا ملحوقاً بالنسيان، فهو عالم بكل شيء منذ كان، ولا يزال عالماً إلى الأبد.

يعلم كل لفظ، وحركة شفاه، ووجيب قلب، واختلاج جارحة، واستماع مسموع، وتذوق طعم، ولمس ملموس، ونظر عين.. ويدلّ على علمه: أنه صنع الأشياء المتقنة، وأبدع المخلوقات الجميلة مما لا يتم إلا بعلم، ولا يمكن أن يصنع إلا بدرايته. إن باني الدار الجميلة لا يكون إلا مهندساً عليمًا بالبناء، وصانع الماكنة المحكمة لا يكون إلا عالماً بالفصل والتركيب، ومركب أجزاء الدواء لا يكون إلا صيدلياً خبيراً..

فكيف يمكن أن يكون صانع الإنسان بهذا الإتقان المدهش، والحيوان بهذه الكيفية المحيرة، وسائر المصنوعات بهذه الهيئات العجيبة، جاهلاً؟ كلا! ..

لا يكون ذلك.

يقول القرآن الكريم: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا

يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١﴾.

وقال تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿٢﴾.

وقال سبحانه: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مَبِينٍ * وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾ ﴿٣﴾.

وقال عز وجل: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مَبِينٍ﴾ ﴿٤﴾.

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ * عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ * سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ ﴿٥﴾.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «يعلم عجيج الوحوش في الفلوات، ومعاصي

(١) سورة المجادلة: ٧.

(٢) سورة الملك: ١٣-١٤.

(٣) سورة الأنعام: ٥٩-٦٠.

(٤) سورة يونس: ٦١.

(٥) سورة الرعد: ٨-١٠.

العباد في الخلوات ، واختلاف النِّينان ^(١) في البحار الغامرات ، وتلاطم الماء بالرياح العاصفات» ^(٢).

وقال أبو حازم للإمام الصادق عليه السلام : رأيت ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة ، أليس كان في علم الله تعالى ؟ فقال عليه السلام : «بلى قبل أن يخلق السماوات والأرض» ^(٣).

وقال الإمام الرضا عليه السلام : «.. لم يزل الله عزوجل علمه سابقاً للأشياء ، قديماً قبل أن يخلقها ، فتبارك ربنا وتعالى علواً كبيراً ، خلق الأشياء وعلمه بها سابق لها كما شاء ، كذلك لم يزل ربنا عالماً سميعاً بصيراً» ^(٤).

(١) النِّينان : جمع نون ، وهي الحيتان.

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٨ ، الفقرة ١.

(٣) التوحيد : ص ١٣٥ باب العلم ح ٥.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ج ١ ص ١١٨ باب ما جاء عن الرضا علي بن موسى عليه السلام من الاخبار في التوحيد ح ٨. والتوحيد : ص ١٣٦ باب العلم ح ٨.

سميع بصير

لا يتجاذب الناس أطراف حديث، إلا ويسمع الله تعالى كلام كل واحد منهما قبل أن يسمعه الآخر، ولا يلفظ أحد لفظاً إلا ويسمعه الله، ولو كان اللفظ وحده، في أعماق الأرض، أو أجواء السماء..

ولا يحف شجر، ولا يغرد طير، ولا يصر باب، ولا يضرب طبل، ولا يفرق رعد.. إلا والله سبحانه يسمع، وإن لم يسمعه أحد.

بل: وإن كان الصوت من الضعف بحيث لا يتمكن أحد سماعه.

والله يبصر كل دقيق وجليل، وقبيح وجميل، وكل حركة وسكون، يبصر ما في الظلمات كما يبصر ما في النور، ويبصر ما في الغيب كما يبصر ما في الشهادة. فهو بصير بكل مبصر، وناظر إلى كل منظور. يسمع سمعه الأصوات.. ويشمل بصره كل مبصر. يقول القرآن الحكيم: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾^(٢).

وقال سبحانه: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسَّوِّءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾^(٣).

وقال عز وجل: ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرَ بِهِ وَأَسْمَعَ مَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾^(٤).

(١) سورة الزخرف: ٨٠.

(٢) سورة المجادلة: ١.

(٣) سورة النساء: ١٤٨.

(٤) سورة الكهف: ٢٦.

وقال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(١).

وقال الإمام الرضا عليه السلام: «.. لم يزل الله تبارك وتعالى عالماً قادراً حياً قديماً، سميعاً بصيراً بذاته..»^(٢).

وهناك فرق بين كون الله سميعاً بصيراً، وبين كون الإنسان والحيوان كذلك. إن الله سميع، ولكن لا بأذن وجارحة، وبصير ولكن لا بعين ومقلة، فهو يسمع الأشياء بذاته، ويبصر الأشياء بذاته.

إنه لو كان يسمع بأذن كأذاننا، أو يبصر بعين كعيوننا لكان محتاجاً إلى ذينك العضوين، والله ليس بمحتاج. ولكان مركباً من أجزاء، والله ليس بمركب. بل هو بسيط لا جزء له.

قال أبان للإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: أخبرني عن الله تبارك وتعالى، لم يزل سميعاً بصيراً، عليمًا قادراً؟ قال عليه السلام: «نعم».

فقلت له: إن رجلاً يتحل موالاةكم أهل البيت عليه السلام يقول: إن الله تبارك وتعالى لم يزل سميعاً بسمع، وبصيراً ببصر، وعليمًا بعلم، وقادراً بقدرة.

قال: فغضب عليه السلام ثم قال: «من قال ذلك ودان به فهو مشرك وليس من ولايتنا على شيء إن الله تبارك وتعالى ذاتٌ علامة سميعة بصيرة قادرة»^(٣).

وقال عليه السلام: «.. هو سميع بصير، سميع بغير جارحة، وبصير بغير آلة، بل يسمع بنفسه، ويبصر بنفسه»^(٤).

(١) سورة البقرة: ٢٣٣.

(٢) الامالي للشيخ الصدوق: ص ٢٧٨ ح ٥ المجلس السابع والعشرون..، و(عيون أخبار الرضا عليه السلام): ج

١ ص ١١٩ ح ١٠، و(روضة الواعظين): ص ٣٧ باب الكلام فيما ورد من الأخبار في معنى العدل..

(٣) الامالي للشيخ الصدوق: ص ٦١٠ ح ٦ المجلس التاسع والثمانون، والتوحيد: ص ١٤٣ ح ٨ باب

صفات الذات وصفات الافعال، وروضة الواعظين: ص ٣٧ - ٣٨ باب الكلام فيما ورد من الاخبار

في معنى العدل و التوحيد وفيه: (إن الله تعالى ذات قادرة عالمة سميعة بصيرة).

(٤) التوحيد: ص ١٤٤ باب الصفات الذات وصفات الافعال ح ١٠.

قادر

هل رأيت الشمس صباحاً من مشرقها، ثم تغرب مساءً في مغربها؟
 هل رأيت النبات ينمو رويداً رويداً، حتى يثمر ويزهر، ويخضر ثم يصفر؟
 هل رأيت الأمواج تتلاطم وتمور، وتسير وتدور؟
 هل رأيت الحيوان ينعقد نطفة، ثم علقه، ثم مضغه، ثم لحماً وعظماً، ثم يولد ذا عين بصير، وأذن سميع، ولسان ناطق، وقلب خافق، وقامة معتدلة، وصفات مؤتلفة ومختلفة؟
 هل رأيت الإنسان بأصنافه، والمعادن بأقسامها، والأنهار الجارية، والأسماك السابحة، والنجوم الزاهرة، والسحاب المثار، والبرق اللامع، والرعْد القاصف..؟
 هل رأيت الطائرة تطير، والقاطرة تسير، والباخرة تمخر، والسيارة تنهب الأرض وتطوي الأبعاد؟
 كل ذلك بقدرة الله، إن القدرة تضم بين جوانحها كل ما في الكون، وتلف في ثناياها كل موجود.
 بل تسع غير الموجود، فالله قادر على أن يخلق ويخلق، ويصنع ويصنع، فلا تحتكر الموجودات قدرته، ولا تضيق المخلوقات سعته.
 إن سيارة صغيرة تدل على قدرة صانعها، وباخرة ضئيلة تدل على أن مخترعها قدير..، فكيف لا يدل هذا الوجود الرحب والكون الفسيح على قدرة خالقه العظيم؟! ويلمح القرآن الحكيم إلى قدرة الله تعالى:
 قال سبحانه: ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١).
 وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي

(١) سورة فاطر: ٤٤.

الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا»^(١).

وقال عزوجل: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مَقْتَدِرًا﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾^(٣).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «من شبه الله بخلقه فهو مشرك، ومن أنكر قدرته فهو كافر»^(٤).

وقال أبو جعفر الباقر عليه السلام: «إن الله عزوجل لا يوصف وكيف يوصف وقد قال الله عزوجل في كتابه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾»^(٥) فلا يوصف بقدر، إلا كان أعظم من ذلك»^(٦).

والقدرة - كما نرى المقدورات - واسعة المجال، تشمل الميكروب الصغير الذي تجمع ستة ملايين منه قطرة ماء، كما يقوله العلم الحديث - كما تشمل الشمس المشرقة التي هي أضعاف أضعاف الأرض.

فحدها لا يقف، ونطاقها لا يضيق، وإمكاناتها غير محدودة.

وليس معنى ذلك أن تخرج القدرة على منطقتها المعقول، حتى يقول قائل: إن اجتماع الوجود والعدم في آن واحد غير مقدور.

ما أبدع جواب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حين قال له قائل:

هل يقدر ربك أن يدخل الدنيا في بيضة، من غير أن تصغر الدنيا، أو تكبر

(١) سورة البقرة: ٢٥٩.

(٢) سورة الكهف: ٤٥.

(٣) سورة النساء: ١٣٣.

(٤) التوحيد: ص ٧٦ باب التوحيد ونفي التشبيه ح ٣١.

(٥) سورة الأنعام: ٩١.

(٦) راجع المؤمن: ص ٣٠ ح ٥٥ باب ما خص الله به المؤمنين من الكرامات والثواب، والتوحيد ص ١٢٧ باب القدرة ح ٦، إلا أنه ليس فيه كلمة (بعجز).

البيضة؟ فقال ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى لا ينسب إلى العجز، والذي سألتني لا يكون»^(١).

فإن المحال غير قابل، كما أن الإناء الصغير غير قابل لأن يأخذ أكثر من فضائه.

حكيم

الحكيم: هو الذي يضع الأشياء مواضعها، فلا يعمل على خلاف المصلحة. والله سبحانه يعمل بالحكمة، فلا يرتجل العمل بدون صلاح، ولا يخلق بدون إتقان، ولا يفعل بدون مراعاة الجهات.

الحكمة هي كنطاق لسائر الصفات، فالقدرة لولا الحكمة أكثر في الخلق، والعقاب لولاها أكثر في النزع، والرزق لولاها أكثر في الهطول، والتراب لولاها توسع على غير مدى..

لكن الحكمة هي المحددة لمقادير الصفات، وموازن الخلق والرزق. ومن الحكمة: جعل الأشياء رهين الأسباب، فالشجر لا ينمو في عشية أو ضحاها ويبلغ حد الكمال، والنطفة لا تتكون في الهواء، والولد لا يكون عالماً سويّاً في ساعات، فكل يجري حسب الميزان، وإلا فالقدرة عامة تتمكن من الإبداع الآني.

إنا وإن لم نعرف كثيراً من الحكم، وربما اعترانا الشك في شيء من الكون، لكن إلقاء نظرة ثاقبة في بعض الخلق، كاف للإذعان بالحكمة. ولهذا يجب أن نعتز بالصالح في كل شيء، وإن لم ندرك وجه المصلحة، وجهلنا الحكمة المخصصة.

(١) بحار الانوار: ج ٤ ص ١٤٣ باب ٤ ح ١٠.

إن من ينظر إلى الطائفة، فيرى معظم أجهزتها وكثيراً من أدواتها وآلاتها رُكِّبَت تركيب علم وصلاح، ثم لم يعرف وجه الحكمة في شيء من التركيب، يجدر به أن يضع النقص على إدراكه، لا على الطائفة..

ويشير القرآن الكريم إلى كونه تعالى حكيماً:

قال تعالى: ﴿كَتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾^(١).

وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾^(٢).

وقال عز وجل: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(٣).

ويشير إلى كونه في أعماله حكيماً:

بقوله سبحانه: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾^(٤).

وقوله تعالى: ﴿يَسْ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾^(٥).

وقد استعرض الإمام الصادق عليه السلام - في الحديث المشهور بـ (توحيد المفضل)^(٦) - طرفاً من آثار الحكمة، وهي طويلة ممتعة، نذكر منها مقتطفاً:

قال عليه السلام: «نبدأ يا مفضل بذكر خلق الإنسان، فاعتبر به، فأول ذلك ما يدبر به الجنين في الرحم، وهو محجوب في ظلمات ثلاث: ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة، حيث لا حيلة عنده في طلب غذاء، ولا دفع أذى، ولا استجلاب منفعة، ولا دفع مضرة، فإنه يجري إليه من دم الحيض ما يغذوه كما

(١) سورة هود: ١.

(٢) سورة النمل: ٦.

(٣) سورة فصلت: ٤٢.

(٤) سورة آل عمران: ٥٨.

(٥) سورة يس: ١-٢.

(٦) حديث مفصل مشهور رواه المفضل بن عمر عن الإمام الصادق عليه السلام في توحيد الله وصفاته. راجع الاحتجاج، وتوحيد المفضل: ص ٤٨ المجلس الأول.

يغذو الماء النبات، فلا يزال ذلك غذاؤه، حتى إذا كمل خلقه، واستحكم بدنه، وقوي أديمه على مباشرة الهواء، وبصره على ملاقة الضياء، هاج الطلق بأمه، فأزعجه أشد إزعاج وأعنفه حتى يولد.

فإذا ولد، صرف ذلك الدم الذي كان يغذوه من دم أمه إلى ثديها، وانقلب الطعم واللون إلى ضرب آخر من الغذاء، وهو أشد موافقة للمولود من الدم، فيوافيه في وقت حاجته إليه، فحين يولد قد تلمظ وحرك شفثيه طلباً للرضاع، فهو يجد ثدي أمه، كالإداوتين المعلقتين لحاجته إليه، فلا يزال يتغذى باللبن ما دام رطب البدن، دقيق الأمعاء، لين الأعضاء.

حتى إذا تحرك واحتاج إلى غذاء فيه صلابة، ليشتد ويقوى بدنه، طلعت له الطواحن من الأسنان والأضراس ليمضغ بها الطعام. (١).

(١) توحيد المفضل: ص ٤٨ المجلس الأول.

مريد

إن الإرادة تقابلها الإلجاء.

فالنار تحرق ، لكن الحرق ليس بإرادتها.

والإنسان يمشي ، ومشيه بإرادته.

إن الله عز وجل يفعل الأشياء عن إرادة ، فهو يريد خلق الإنسان فيخلق ، ويريد شفاء شخص فيشفى ، ويريد نمو النبات فينمو.

فيصوغ الكائنات في قوالبها التي يريد ، وفي الوقت الذي يريده ، وفي المكان الذي يريده ، لا ينازعه في ذلك منازع ، ولا يلجئه إلى ذلك ملجئ.

وقد كان من حقه تعالى أن يجعل الذكر أنثى ، أو يجعل الصحيح مريضاً ..

ومن حقه : أن يخلق الذي خلقه في هذا الزمان ، في زمان غابر ، أو زمان مستقبل .. ومن حقه : أن يكون المخلوق الذي كونه هنا ، هناك ..

فجعل المخلوق في قالب دون قالب ، وخلقه في مكان دون آخر ، وتكوينه في زمان دون زمان ، دليل على إرادته الشاملة التي تفيض على الأشياء ، فيصوغها في صيغها التي يشاء ، ويلبسها لباسها الذي يريد.

وقد أشار القرآن الحكيم إلى هذه الحقيقة :

قال تعالى : ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾^(١).

وقال سبحانه : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾^(٢).

(١) سورة النساء : ١٣٣ .

(٢) سورة ابراهيم : ١٩-٢٠ .

وقال عزوجل: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾^(٢).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «خلق الأشياء بالمشيئة...»^(٣).

وقال له عليه السلام رجل: لم يزل الله تعالى مريداً، فقال عليه السلام: «إن المريد لا يكون إلا لمراد معه، ألم يزل عالماً قادراً، ثم أراد»^(٤).

والله كما يريد الخلق فيخلق، والصنع فيصنع.. كذلك يريد العمل الحسن من عباده، ويكره العمل السيئ منهم.

يقول القرآن الحكيم: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾^(٥).

وقال تعالى: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾^(٦).

وقال الإمام الرضا عليه السلام: «فإرادة الله تعالى ومشيئته فيها - أي في الطاعات - : الأمر بها والرضا لها والمعاونة عليها، وإرادته ومشيئته في المعاصي: النهي عنها والسخط لها والخذلان عليها». قال السائل: فله عزوجل فيها قضاء؟

قال عليه السلام: «نعم، ما من فعل يفعله العباد من خير وشر، إلا والله فيه قضاء».

قال السائل: ما معنى هذا القضاء؟

قال عليه السلام: «الحكم عليهم بما يستحقونه من الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة»^(٧).

(١) سورة النحل: ٤٠.

(٢) سورة الاحزاب: ١٧.

(٣) بحار الأنوار: ج ٤ ص ١٤٥ باب ٤ ح ٢٠.

(٤) الكافي: ج ١ ص ١٠٩ ح ١.

(٥) سورة البقرة: ١٨٥.

(٦) سورة الاسراء: ٣٨.

(٧) بحار الأنوار: ج ٥ ص ١١ ب ١ ح ١٨.

خالق

الله خالق كل شيء، فما من صغير في منتهى الصغر، ولا كبير في غاية الكبر، إلا وخالقه الله، ليس له مشارك في خلقه ولا ظهير في تكوينه.

هو خلق الشمس والقمر، وهو خلق النبات والحيوان، وهو خلق الأرض والسماء.

والإنسان في كثير مما يفعله إنما هو (معدّ) لا غير.
فالإنسان إنما يباشر زوجه فقط، أما جريان الماء من الصلب والترائب إلى الرحم..

أما استقراره في مكان مكين..
أما نموه وصيرورته عظماً وغضاريف، وأوردة وشرابين، وسمعاً وبصراً، ولساناً وشفة..

أما دخول الروح فيه..
أما تجهيزه بالصفات والأحوال..
فكلها من الله^(١).
والزراع إنما يحراث الأرض، ويدفن البذر، ويتعهد سقي الماء.
أما نمو النبات إلى أن يخرج من الأرض..

(١) كما قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نَّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لَّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرِّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى...﴾ سورة الحج: ٥.
وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ سورة المؤمنون: ١٤ وراجع أيضاً سورة غافر: ٦٧ وسورة القيامة: ٣٧-٣٨ وسور أخرى.

أما اخضرار أوراقه.. أما إخراج الثمار..

أما نضوجها.. فكلها من الله.

وهكذا نقول في كل ما نرى في الكون: من كبير وصغير، ونام وجماد،

وسائل وجامد، وحي وميت..

يقول القرآن الحكيم: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(١).

وقال سبحانه: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ * وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * ... وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾^(٣).

وقال عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾^(٤).

وقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾^(٥).

وقال تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَانْتَهُتُمْ فَكُونُوا﴾^(٦).

وقال عز وجل: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ

(١) سورة البقرة: ٢٢.

(٢) سورة النحل: ٤-٨.

(٣) سورة الانعام: ٧٣.

(٤) سورة يس: ٧١.

(٥) سورة فاطر: ١١.

(٦) سورة غافر: ٦٢.

وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾.

وربما يدور في خلد بعض الناس : إن الله ليس بخالق لمثل البق الذي يتكون في المستنقعات !

لكن هذا زعم بعيد !

إن الله جعل لكل شيء سبباً ، فكما جعل سبب تكون الإنسان زوجاً وزوجةً ، وسبب تكون النبات أرضاً وماءً ، بذوراً وضيئاً ..
كذلك جعل سبب تكون البعوض المستنقعات ، وسبب تكون الجراثيم القاذورات والنفايات .

دخل ابن أبي العوجاء على أبي عبد الله الصادق عليه السلام فقال : أليس تزعم أن الله خالق كل شيء ؟

فقال أبو عبد الله عليه السلام : بلى .

فقال له : أنا أخلق !

فقال عليه السلام : كيف تخلق ؟

قال : أحدث في الموضع ، ثم ألث عنه ، فيصير دواباً ، فأكون أنا الذي خلقتها .

فقال أبو عبد الله عليه السلام : أليس خالق الشيء يعرف كم خلقه ؟

قال له : بلى .

قال عليه السلام : فتعرف الذكر منها من الأنثى ؟ ! وتعرف كم عمرها ؟ !^(٢) .

إن منتهى ما في اختيار الإنسان أن يحدث السبب ، كأن يصب الماء في مكان قذر ، أما أنه يخلق شيئاً ، فلا يمكن .

(١) سورة يس : ٣٦ .

(٢) بحار الانوار : ج ٣ ص ٥٠ باب ٣ ح ٢٤ .

الطبيعة والمكتشفون

ما هي الطبيعة؟ حتى نزعمها خالقاً..

إن الإنسان كامل جداً، له عين وأذن ولسان ولمس وشم وفكر وتجارب وأدوات، والطبيعة ناقصة جداً، لا شيء لها.

ثم ما هي الطبيعة؟

هل هي الأرض؟ أم الشمس؟ أم الضوء؟ أم الدفء؟ أم الهواء؟ أم مجموعها؟ أم النظام السائد فيها؟

إن الأرض البكماء العمياء الصماء.. وكذلك الشمس، و.. و.. التي هي مثل الأرض في العجز والجهل و.. و.. هل تتمكن من خلق الروح والجمال والحب..؟

أما النظام السائد فيها، فمن جعل ذلك النظام؟

إنها أسئلة تستحق شيئاً من التفكير!

إن من ينظر إلى الكون، ثم يزعم أنه من صنع الطبيعة، ثم يفسر الطبيعة بأنها هي الكون، إن هذا الشخص كمن ينظر إلى بناء جميل، ثم يزعم أنه صنع نفسه!

هل هذا منطق المفكر؟ كلا!.

إن للكون إلهاً عالماً حكيماً، قادراً مريداً.. صنعه وأجرى فيه النظام.

أما العلماء المكتشفون: فمن الجدير أن يكونوا أشد الناس إيماناً بالله.

إن فضل المكتشف أنه كشف عن حقيقة كانت، ولكن كانت مجهولة، وإنما كشفها هذا العالم، أما الحقيقة فهي تنادي بأن لها خالقاً وجاعلاً، ثم جعل مفتاحها دماغ هذا المفكر، وإلا فمن جعل الهواء بحيث تقل الطائفة؟ ومن جعل

البخار قوياً بحيث يحرك الباخرة والقاطرة؟ ومن جعل (للرادار)^(١) عيناً؟ ومن جعل الأثير يحمل الأصوات؟!..

الحياة

الحياة تقابل الموت والجمود، فالإنسان الحي، والحيوان الحي، والنبات الحي، كلها أحياء لا موت فيها ولا جمود.

والحي يترشح منه الكمال: فالإنسان الحي يبصر ويسمع ويفكر ويعمل، والحيوان الحي يأكل ويشرب ويمشي ويتكاثر، والنبات الحي ينمو ويورق ويخضر ويثمر.

ومراتب الحياة مختلفة: فحياة الإنسان أرقى من حياة الحيوان، وحياة النبات أنزل من حياة الحيوان، وهكذا مراتب الحياة في الإنسان مختلفة، فكلما كانت آثار الحياة في فرد أقوى كانت الحياة فيه أرقى، وكذلك الحيوان.. والنبات..
إن الله حي.

وليس معنى ذلك أنه يأكل أو ينمو أو.. مما يكون من لوازم الجسم والعرض.
بل معنى حياة الله: أنه يخلق، ويعلم، ويريد، ويقدر، ويحيي ويميت، ويرزق ويعطي، ويثيب ويعاقب.

(١) (الرادار) جهاز يستخدم الموجات اللاسلكية ذات التردد فوق العالي لاكتشاف الأشياء النائية أو غير المنظورة (كالطائرات والسفن والغواصات وغيرها) وتحديد مواقعها، يعتمد الرادار على انعكاس هذه الموجات عن الجسم البعيد (الطائرة أو الغواصة) في تحديد اتجاه ذلك الجسم والمسافة التي تفصله عن مصدر الإشارات اللاسلكية، وأحياناً في تقدير مدى سرعته أيضاً. ومحطة الرادار تتألف عادة من مرسل ومستقبل هوائي وشاشة، وقد اخترع الرادار في إنكلترا عام ١٩٣٥م على وجه التقريب، ثم طور وحسن بعد ذلك وقد استخدم بادئ الأمر لاكتشاف طائرات العدو المهاجمة، ويستخدم الرادار في الطيران المدني أيضاً فهو يوجه الطيارين وينير لهم سبيلهم في الجو ويساعدهم على الهبوط بسلام في حلقة الليل أو غمرة الضباب.

إن بعض الفلاسفة زعم أن الله يعمل لكنه غير حي، فهو كماكنة تشتغل أتوماتيكياً!

إن الماكنة الأتوماتيكية، لا تعمل إلا شيئاً واحداً.

أما الله فهو كل يوم في شأن، نرى سيل الوجود الجارف - الذي لا يحصي مداه بشر - يجري في نهر الوجود كل يوم، بل كل آن ولحظة، في شكل وصورة، وحجم وقالب، ولون وكيفية:

هذا يحيى وهذا يموت، وهذه تلد وهذه تعقم، والأرض تخضر ثم تصفر ثم تغبر، والطفل يشب ثم يشيب، والسحاب يزجي ثم يركم ثم يطر ثم يضمحل..
إن الله حي، ويبدد أزمة الكون، وهو كل يوم في شأن^(١).

يقول القرآن الحكيم: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾^(٣).

وقال سبحانه: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾^(٤).

إن آثار الحياة في كل بشر مهما عظمت مقدرته واتسعت آثاره ضئيلة جداً، ومحدودة بمحدود الزمان والمكان.

أما آثار الحياة في الله تعالى فهي بعكس ذلك، فكل ما في الكون الشاسع من أثر فهو أنموذج عن آثار حياته تعالى.

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ سورة الرحمن: ٢٩.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٥.

(٣) سورة الفرقان: ٥٨.

(٤) سورة طه: ١١١.

حتى إن حياة ما سواه أضال من الصفر في جنب حياته تعالى .
ولقد زعم اليهود أن الله لا يصنع شيئاً، وفرغ مما أراد، فشدد الله في النكير
عليهم حيث يقول: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا
قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾^(١).

الأول والآخر

إن كل ما نراه في الكون، لأبد وأن يكون له أول، وأن يكون له آخر .
أما الحيوان، والنبات، والإنسان، و.. و..، فكثيراً ما نسبق عليها فيتأخر
وجودها عن وجودنا، كما نبقى بعدها فتهلك ونشاهد هلاكها.

وأما الأرض والشمس والقمر، وتوابعها كالجبال والبحار والأنهار والأشجار
والزاهرة والليل والنهار، و... فإننا وإن لم ندرك أولها، ولا نبقى إلى أن ندرك
آخرها، إلا أن العلماء والمفكرين ينبئوننا عن مدى قدمها، وإنها قبل ملايين
السنين لم تكن شيئاً مذكوراً، كما يخبروننا عن مقدار بقائها، وإنها بعد ملايين
السنين تعدم، فلا يبقى منها عين ولا أثر.

إن الله هو الذي خلق هذه الأشياء، وهو الذي يفني هذه الأشياء..
فهو سابق عليها، وبقا بعدها، فهو أول ولا سابق عليه، وآخر ولا شيء
بعده.

كان إذ لم يكن زمان ولا مكان، ولا حركة ولا سكون، ولا سماء
بنجومها، ولا أرض بمائها وهوائها وحيوانها وإنسانها.
ثم يبقى بعدها، فلا أرض تدور، ولا شمس تسير، ولا بحر يتلاطم،

(١) سورة المائدة: ٦٤.

ولا نام ينمو، ولا متحرك يتحرك.

فلو أسرحنا خيالنا في الماضي البعيد نجد الله كان وكان.. ولم يخل وقت منه، ولو أطلقنا زمام الفكر في المستقبل المترقب نجد الله يكون ويكون.. فلا يخلو منه وقت.

ولو قيل: إنه كان وقت ولم يكن الله، لكان لنا أن نقول فمن كَوَّن الله؟ ولو قيل: إنه يأتي وقت ولا يكون الله، لكان لنا أن نقول: فمن يُعدم الله؟ لا هذا، ولا ذاك.. بل هو الأول وليس قبله شيء، وهو الآخر ولا يكون بعده شيء.

يقول القرآن الحكيم: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(١). فهو تعالى يشهد جميع الأشياء: يشهد تكونها، فهو قبلها، ويشهد فناءها، فهو بعدها..

ويقول سبحانه: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾^(٢).

ويقول تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٣).

وسأل نافع بن الأزرق أبا جعفر عليه السلام قال: أخبرني عن الله عز وجل، متى كان؟

فقال له: «ويلك! أخبرني أنت متى لم يكن حتى أخبرك متى كان؟ سبحان من لم يزل ولا يزال، فرداً صمداً، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً»^(٤).

(١) سورة فصلت: ٥٣.

(٢) سورة الواقعة: ٦٠.

(٣) سورة الحديد: ١-٣.

(٤) التوحيد: ص ١٧٣ ح ١ باب نفي المكان والزمان والسكون والحركة...

وعن الصادق عليه السلام قال: «قال رأس الجالوت لليهود: إن المسلمين يزعمون أن علياً من أجدل الناس وأعلمهم! أذهبوا بنا إليه لعلّي أسأله من مسألة أخطئه فيها، فأتاه، فقال: يا أمير المؤمنين! إنني أريد أن أسألك عن مسألة؟

قال عليه السلام: سل عما شئت!

قال: يا أمير المؤمنين متى كان ربنا؟

قال: يا يهودي! إنما يقال: متى كان لمن لم يكن فكان.

هو كان بلا كينونة كائن - أي بدون أن يصنعه غيره - كان بلا كيف، يا يهودي كيف يكون له قبل، وهو قبل القبل؟.. انقطعت الغايات عنه - أي لا يكون بعده شيء - فهو غاية كل غاية..»^(١).

قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ أي ذاته ﴿لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٢).

متكلم

إنا نبدي عما في ضمائرنا بالكلام - في الأغلب - .

والوحوش تبدي ما في خلدها بالعجيج..

لكن الله لا يحتاج إلى الكلام، فهو يتمكن من صنع الشيء بمجرد الإرادة.

كما يتمكن من إفهام الملائكة والأنبياء عليهم السلام بإلقاء ما يريد في أذهانهم.

لكن ثبت - في القرآن والسنة - إن الله متكلم.

وليس معنى كلامه: إن له لساناً وشفوتين، وحنجرة ولهوات^(٣)، فإنه ليس

(١) التوحيد: ص ١٧٦ ح ٦ باب نفى المكان والزمان والسكون والحركة...

(٢) سورة القصص: ٨٨.

(٣) لهوات جمع لهاة: اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم.

بجسم ، وليس له ما لنا من الفم والآلات - كما سيأتي - ، فليس كلامه تعالى شبيهاً بكلامنا يخرج من الفم .

بل معنى إنه متكلم : إنه متى شاء الكلام خلق الصوت في الهواء ، أو في شجرة ، أو في شيء آخر ، فيسمعه الملائكة أو الأنبياء ، أو غيرهم ممن شاء .

يقول القرآن الحكيم : ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^(١) .

و(الكلمة) : تطلق بمعنى النعمة والمخلوق ونحوهما ، يقول القرآن الحكيم :

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٢) .

وقال تعالى : ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ

تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾^(٣) .

وقال الإمام الصادق عليه السلام : «كان الله عز وجل ، وليس بمتكلم ، ثم أحدث

الكلام»^(٤) .

وقال الإمام الرضا عليه السلام : «كلام الخالق لمخلوق ، ليس ككلام المخلوق

لمخلوق ، ولا يلفظ بشق فم ولسان.»^(٥) .

(١) سورة النساء : ١٦٤ .

(٢) سورة لقمان : ٢٧ .

(٣) سورة الكهف : ١٠٩ .

(٤) بحار الانوار : ج ٤ ص ٦٨ باب ١ ح ١١ .

(٥) بحار الانوار : ج ٤ ص ١٥٢ باب ٦ ح ٤ .

صادق

هل يكذب أحد إلا عن خبث في نفسه، أو عجز عن دفع مضرة أو جلب منفعة بدون الكذب، أو جهل بالحقيقة؟
 إن أسباب الكذب تنحصر في هذه الثلاثة .
 والله منزّه، لا يتطرق إليه زيغ أو فساد.
 والله قادر، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.
 والله عالم، لا يجهل صغيراً ولا كبيراً، كان أو يكون.
 إذن: فالله صادق فيما يقول، فيما يشرّ وينذر، لا يكذب أبداً، ولا يخلف الميعاد.

إن ما بشرّ به المؤمنين: من جنات وعيون، وزروع ومقام أمين، في ظل ممدود، وماء مسكوب، وفاكهة كثيرة، لا مقطوعة ولا ممنوعة^(١)..
 وما أنذر به الكافرين: من عذاب أليم، ونار جحيم، وظل من يحوم، لا ظليل ولا يغني من لهب^(٢)..
 كلها صدق وحق.

يقول القرآن الكريم: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾^(٣).
 وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾^(٤).

(١) راجع سورة الواقعة: ٣٧-٢٨، وسورة الدخان: ٥١-٥٥، وسورة المرسلات: ٤١-٤٢، وغيرها من السور.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الواقعة ٤٢-٤٤، و٥٢-٥٥، وسورة البقرة: ١٧٤، وغيرها.

(٣) سورة الانعام: ١٤٦.

(٤) سورة الانبياء: ٩.

غني

أرأيت الأغنياء لا يملكون من الكون إلا دراهم معدودة، ومع ذلك يسميهم الناس أغنياء؟

إنه إطلاق مجازي، إذ هذا الغني لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً، ولا حياة ولا موتاً، ولا صحةً ولا مرضاً، ولا شيئاً ولا شيئاً، ولا نقصاً ولا كمالاً.

منتهى الأمر: إن صديقه الفقير لا يملك مثل دراهمه.

إن الله غني بما لهذه اللفظة من معنى:

غني في وجوده: فلا يحتاج إلى خالق يخلقه.

غني في ملكه: فلا يحتاج إلى أحد يملكه.

غني في علمه: فلا يحتاج إلى معلّم.

غني في خلقه: فلا يحتاج إلى مشير أو ظهير.

غني في ذاته: فلا يحتاج إلى آلة أو تجربة.

غني في أحواله: فلا يحتاج إلى خزانة أو درهم أو دينار.

إن غنى الله ليس لأنه يملك معادن الأرض النفيسة، ولا لأنه يملك عدداً

كثيراً من الجن والإنس والملّك، ولا لأنه يملك الفضاء الشاسع والأنهار

والأراضي، ولا لأنه يملك خزائن المخلوقات: من ماء وهواء وضيء وتراب،

التي بها تثمر الأشجار، وتنمو النباتات، وتخلق الحيوانات، و....

بل لأن له القدرة العظيمة التي بها يخلق ما يخلق، وإن أفنى جميع الكون

بحيث رجع لا شيء، إن في كلمة ﴿كُنْ﴾ كنز الله الذي إذا شاء خلق أكواناً

وأكواناً، بلا نصب ولا لغوب.

يقول القرآن الحكيم: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ

فَيَكُونُ ﴿١﴾.

ولقد سغه المنافقون الذين حكى الله قولهم: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا﴾ (٢) زاعمين أن الرسول ﷺ محتاج إلى عونهم، وأنه بانقطاع صلاتهم ينفض المسلمون من حول النبي ﷺ، وأن الله لا يتمكن من إنقاذ الموقف، فردّ الله عليهم بقوله: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (٣).

إن العلم والخلق والرزق والأمانة والإحياء والصحة والمرض والمال والجاه و... كلها في خزائن الله، يعطيها من يشاء، ويصرفها عمن يشاء، ولكن ذلك تحت حكمة عالية ومصلحة قاضية، يقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ (٤).

وحيث نزل قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ (٥) قال جمع من اليهود - استهزاءً -: إن إله محمد فقير ونحن أغنياء، زاعمين أن ما لديهم من دراهم يغنيهم، وظنوا أن هذه الآية تدل على فقر الله تعالى فردّ الله عليهم، ووعدهم بالعذاب في قوله: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ * ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٦﴾.

وقد يزعم أناس أن إيمان الناس بالله تعالى مما يحتاج إليه.

(١) سورة يس : ٨٢.

(٢) سورة المنافقون : ٧.

(٣) سورة المنافقون : ٧.

(٤) سورة الحجر : ٢١.

(٥) سورة البقرة : ٢٤٥.

(٦) سورة آل عمران : ١٨١-١٨٢.

إن الله لا ينفعه إيمان المؤمنين ، ولا يضره كفر الكافرين ، فهو الغني عن كل ذلك ، وإنما ترجع الفائدة إلى المؤمن نفسه ، وتعود المضرة إلى الكافر نفسه .
ولقد قال القرآن الكريم عن لسان موسى عليه السلام : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ ^(١) .
وقال في آية أخرى : ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٢) .

وقد أظهر سبحانه الاستغناء عن قوم تولّوا عن وعظ المرسلين ، وسلكوا سبيل الكافرين ، فقال : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهودونا فكفروا وتولّوا واستغنى الله والله غني حميد ^(٣) .

إذن : من الخرافة أن يقول أحد : إن الله غني عن طاعتي ، فلم أتعب نفسي ؟
أو : إن الله غني عن مالي ، فلم أنفقه في سبيله ؟
إن الإطاعة والإنفاق يعودان إلى نفس المطيع والمنفق ، وتعودان إلى نظام الحياة الاجتماعية .

أليس من السخف أن يقول تلميذ : إن الحكومة في غنى عن نجاحي ورسوبي ، فلم أتعب نفسي وأسهر ليلي بالحفظ والدرس ؟
إن مثل هذا التلميذ يعدّ سخيّاً ، ويعدّ كلامه هراءً ، وإن كان لا تضر الحكومة بطالته ورسوبه ، ولا ينفعها نجاحه ورقيه ، والحكومة - كما نعلم - بمكان نازل من الغنى ، فكيف بالله العلي العظيم ، الذي له ملك السماوات والأرض ، وهو على كل شيء قدير .

(١) سورة إبراهيم : ٨ .

(٢) سورة العنكبوت : ٦ .

(٣) سورة التغابن : ٥ - ٦ .

الصفات الجمالية

إن لله وجود عظيم لا يحده زمان ولا مكان ولا جهة.

وصفاته كذلك، لا يحدها شيء.. فهي كثيرة جداً، ووسيلة جداً.

١: فهناك كثرة في الكيفية: فصفة العلم لا تقف عند حد، حتى يقال: يعلم الله هذا ولا يعلم ذاك، كما هو في المخلوق كذلك، أو يقال: يقدر الله على شيء ولا يقدر على شيء آخر، أو يقال: يسمع الله صوت فلان ولا يسمع صوت فلان.

٢: وهناك كثرة في الكمية: فصفاته كثيرة كثيرة.. وما ذكرناه من العلم والقدرة والحياة والإرادة ليس إلا قدراً قليلاً منها.

وقد ورد في القرآن الحكيم والسنة البيضاء عدة منها، ونحن نذكر في هذا الصدد جملة منها:

يقول القرآن الحكيم: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١).

وعن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب (عليهم السلام) قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تبارك وتعالى تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا

(١) سورة الحشر: ٢٢-٢٤.

واحدة، من أحصاها دخل الجنة، وهي:

الله، الإله، الواحد، الأحد، الصمد، الأول، الآخر، السميع، البصير،
 القدير، القاهر، العلي، الأعلى، الباقي، البديع، البارئ، الأكرم، الظاهر،
 الباطن، الحي، الحكيم، العليم، الحليم، الحفيظ، الحق، الحسيب، الحميد،
 الحفي، الرب، الرحمن، الرحيم، الذارئ، الرزاق، الرقيب، الرؤوف،
 السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، السند، السبوح، الشهيد،
 الصادق، الصانع، الطاهر، العدل، العفو، الغفور، الغني، الغياث، الفاطر،
 الفرد، الفتاح، الفالق، القديم، الملك، القدوس، القوي، القريب، القيوم،
 القابض، الباسط، قاضي الحاجات، المجيد، المولى، المنان، المحيط، المبين،
 المقيت، المصور، الكريم، الكبير، الكافي، كاشف الضر، الوتر، النور،
 الوهاب، الناصر، الواسع، الودود، الهادي، الوفي، الوكيل، الوارث، البر،
 الباعث، التواب، الجليل، الجواد، الخبير، الخالق، خير الناصرين، الديان،
 الشكور، العظيم، اللطيف، الشافي»^(١).

البساطة

إذا نظرنا إلى الإنسان، وجدناه مركباً من أجزاء: العين والأذن والفم..
 واللحم والدم والعظم..
 وإذا لاحظنا الحيوان وجدناه مثل الإنسان، وإنما الفرق بينهما بالإدراك..
 ونحوه.

وإذا سبرنا أحوال سائر الأشياء من نبات وحجر، وماء وهواء... وجدنا

(١) الخصال: ص ٥٩٣ ح ٤ لله تبارك وتعالى تسعة وتسعون اسماً. وراجع عدة الداعي: ص ٣١٧ خاتمة الكتاب في الأسماء الحسنى. والتوحيد: ص ٢١٩ ح ١١ باب أسماء الله تعالى والفرق بين معانيها...

كلها مؤتلفة من أجزاء وأعراض وألوان.

والموجودات كلها تشترك في هذه الناحية، من غير فرق بين أن يكون صغيراً كالجرثومة، أو كبيراً كسائر الأشياء.

لكن الله تعالى ليس كذلك. فليس له جزء، بل هو بسيط. لا أذن له كأذاننا، ولا عين له كأعيننا، ولا يد ورجل له كأيدينا وأرجلنا،

و...

لو كان لله يد ورجل، أو لسان أو مقلة، أو جوارح أو أعضاء.. لكان مركباً. وكل مركب يحتاج إلى أحد يؤلفه ويركبه.

والله ليس قبله أحد حتى يكون هو المركب للإله.

يقول القرآن الحكيم: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾^(٢).

إن الله ليس بجسم ولا بذى أعضاء، ولا يشابهه شيء، وليس له جوف كأجواف المخلوقين، ولم يكن له والد ولده، ولم يلد هو أحداً. كما زعمت اليهود - إن عزيزاً ابن الله ! وكما زعمت النصارى: إن المسيح ابن الله^(٣).

وقد سأل جماعة من النبي ﷺ عن الله؟

فأنزل الله في الجواب لهم: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ الذي لا

جوف له ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^(٤).

(١) سورة الشورى: ١١.

(٢) سورة الانعام: ٩١.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِيرُ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ سورة التوبة: ٣٠.

(٤) سورة الإخلاص ١-٤.

وكتب محمد الهمداني إلى أبي الحسن عليه السلام: إن من قبلنا من مواليك قد اختلفوا في التوحيد، فمنهم من يقول جسم، ومنهم من يقول صورة؟ فكتب عليه السلام بخطه: «سبحان من لا يُحد، ولا يُوصف، ليس كمثله شيء، وهو السميع العليم»^(١).

وقال الصادق عليه السلام: «لا جسم ولا صورة، ولا يحس ولا يجس، ولا يدرك بالحواس الخمس، لا تدركه الأوهام، ولا تنقصه الدهور، ولا تغيره الأزمان...»^(٢).

وقال عليه السلام ليونس: «يا يونس من زعم أن لله وجهاً كالوجوه فقد أشرك، ومن زعم أن لله جوارح كجوارح المخلوقين فهو كافر بالله...»^(٣).
وقال عليه السلام: «... إن الله تبارك وتعالى لا يشبه شيئاً، ولا يشبهه شيء، وكل ما وقع في الوهم، فهو بخلافه»^(٤).

إن من الناس من يتخيل أن الله في السماء، ومنهم من يزعم أنه جالس على العرش، ومنهم من يظن أنه قطعة من نور، ومنهم من يتوهم أنه كالإنسان له وجه ويد ورجل.

كل هذه الأوهام مما يأباه العقل، ويرده القرآن والسنة.
إن الله لو كان في العرش كان محتاجاً إليه، ولو كان له جارحة كان محتاجاً إليها... والله غني - بجميع معنى الكلمة - لا يحتاج إلى شيء أبداً.

(١) التوحيد: ص ١٠٠ ح ٩ باب انه عز وجل ليس بجسم ولا صورة.

(٢) بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢٩١ ب ١٣ ح ٨.

(٣) كفاية الأثر: ص ٢٥٥ باب ما جاء عن جعفر بن محمد عليه السلام مما يوافق هذه الأخبار...

(٤) بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢٩٠ ب ١٣ ح ٤.

لا نعلم

هل تفكرت - يوماً - في أنك لا تعلم أشياء كثيرة؟
 هل عرفت أن ما لا تعلم، أكثر وأكثر مما تعلم؟
 هل طرق سمعك أن شعب العلم التي توصل إليها العلماء، تقرب من المائة والثلاثين علماً^(١)، فالفيزياء علم، والكيمياء علم، والحساب علم، والهندسة علم، والطب علم، و...و...

ثم هل تدري أنك لا تعرف من العلوم إلا شيئاً يسيراً؟
 وهل رأيت في الكتب أن العلماء مع هذا التوسع المدهش من العلم، وهذه الاختراعات، يركعون أمام عظمة الكون وأسراره خُشَّعاً، ويقولون: إن ما كشفناه ليس شيئاً بالنسبة إلى ما لم نكتشفه، وإن العالم مليء بالأسرار والعلوم؟
 وهل قرأت: أن الروح التي هي بين جنبيك، وبين جنبي كل ذي روح، لم يعرف حقيقتها إلى الآن، مع كثرة فحص العلماء عنها وشدة ولعهم لاكتشافها؟
 وهل سمعت أن العقل أخ الروح في هذه الجهالة والغموض؟
 دعنا عن العقل والروح..

هل سمعت أن الكهرباء التي تضيئنا في كل ليل، وتحرك مراوحنا وتغسل أثوابنا، و... إلى ألف جهاز وجهاز التي تمونها الكهرباء، لم يعرف بعد حقيقتها، وإنما يقول العلماء: نرى آثارها، ولا ندرك كنهها؟
 إنا - مع أنه لا نعرف حقيقة ما هو معنا دائم العمر كالروح والعقل.. ولا نعرف كنه ما نستفيد منه في كثير من شؤون حياتنا، كالكهرباء - كيف نتجرأ ونقول: ما هي حقيقة الله؟

(١) أما التقسيمات والتفريعات للعلوم في يومنا هذا فأكثر من ذلك كما لا يخفى (الناشر).

إن حقيقة الله شيء لا يُعرف..

والعقل البشري أقصر من أن يدرك كنه الله..

إننا نعترف بوجود الله، لأننا نرى آثاره، كما نعترف بوجود الروح والكهرباء،
لأننا نرى آثارهما..

أما حقيقة الله فلا يمكن معرفتها، بل نعرف الله بآثاره.

أتدري أن العين ولو كانت حادة، لا تبصر الجرثومة الصغيرة ولا تبصر الجرم
البعيد، ولا تبصر الشيء القريب إليها جداً، ولا تبصر إلا مع وجود النور؟
إن العقل كذلك، فهو كالعين، لكن العين تدرك المحسوس في نطاق ضيق..
والعقل يدرك المعقول في نطاق ضيق أيضاً.

وكما أنه ليس من المنطق أن ننكر الأجسام البعيدة، بمجرد أننا لم نرها..

كذلك ليس من المنطق أن ننكر وجود الله، بمجرد أننا لا ندرك حقيقته!

إن من يرى بناءً، يحكم بوجود البناء له، وإن لم ير البناء.

ومن يرى أثر القدم، يعلم بأنه مرّ هناك شخص، وإن لم ير الشخص.

لأن الأثر يدل على المؤثر، وإن لم يعرف حقيقة المؤثر ولم يره.

إننا لا نعرف حقيقة الله، ولم نر الله، لكننا عرفناه من آثاره، وكفى.

ليس بمرئي

يقال: إن رجلاً أنكر وجود الله، وقال: إن كل شيء موجود لا بدّ وأن يدرك بإحدى الحواس الخمس: العين والأذن والأنف واللسان واللمس، وأنا لم أر الله، ولم أسمع صوته، ولم أشمّ ريحه، ولم أتذوق طعمه، ولم ألمس جسمه.

فصنع رجل - سمع مقالة الرجل المنكر - كرتين، كرة من خشب وكرة من حديد، وصبغهما ثم أتى بهما إلى المنكر، وقال: إن هاتين كرتان، صنعتُ إحداهما من خشب والأخرى من حديد، فهل تتمكن أن تحكم بمجرد نظرك إليهما بأن أيهما حديد وأيهما خشب؟

فنظر المنكر إليهما، وقال: لا أتمكن من التمييز بالنظر.

قال المثلث: فادن سمعك إليهما، لعلك تسمع صوتهما وتميزهما.

فأدنى المنكر أذنه، ولم يتمكن من التمييز.

قال المثلث: فاطعهما بلسانك، لعلك تميزهما من الذوق.

فلطع المنكر، ولم يميز!

قال المثلث: فاستنشق ريحهما، لعلك تميز بالشم.

فلم يعرف المنكر!

قال المثلث: فالمسهما بيدك لعلك تميز باللمس.

فلمسهما المنكر، ولم يميز!

قال: فمن أين تميز بينهما؟

قال المنكر: أرفعهما، فأيهما كان أثقل عرفت أنه الحديد، وأيهما كان أخف عرفت أنه الخشب.

قال المثلث: ومن يحكم بأن الأثقل هو الحديد؟

قال المنكر: العقل.

فكر المثبت قائلاً: إن اللون الخفيف إذا كان حائلاً دون معرفتك وسد أبواب حسك حتى اعترفت بعجز حواسك عن الإدراك، ولجئت أخيراً إلى العقل.. فما يمنعك من الاعتراف بوجود الله الذي ترى آثاره، وإن لم تدركه حواسك؟ فانقطع المنكر، وقفل^(١) إلى الاعتقاد وآمن بالله!

إن الله ليس بمرئي، لأنه ليس بجسم.. وعدم رؤيتنا له ليس دليلاً على عدم وجوده!

إنا لم نر العقل، فمن أين نحكم: بأن هذا عاقل، وهذا مجنون؟.. ليس ذلك إلا بأننا نرى آثار العقل في أحدهما دون الآخر!

وكذلك نحكم بوجود الله، لما نشاهد من آثاره.

إن الله يمتنع عليه الرؤية، فلا يرى لا في الدنيا ولا في الآخرة، لأنه ليس بجسم، وكل ما ليس بجسم لا يمكن رؤيته.

يقول القرآن الحكيم: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾^(٢).

وحيث طلب موسى عليه السلام من الله: أن يريه نفسه؟

أجابه الله: ﴿لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ - تعليقاً على المستحيل - ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾^(٣).

وقد استعظم الله تعالى سؤال الرؤية فقال: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾^(٤).

(١) قفل: رجع.

(٢) سورة الأنعام: ١٠٣.

(٣) سورة الأعراف: ١٤٣.

(٤) سورة النساء: ١٥٣.

وقام رجل يقال له: ذعلب، إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك؟

قال عليه السلام: «ويلك يا ذعلب، لم أكن بالذي أعبد رباً لم أره».

قال: كيف رأيته؟ صفه لنا!

قال عليه السلام: «ويلك لم تره العيون بمشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان»^(١).

وقال الإمام الباقر عليه السلام لأبي هاشم: «يا أبا هاشم، أوهام القلوب أدق من أبصار العيون، أنت قد تدرك بوهمك السند والهند، والبلدان التي لم تدخلها، ولم تدركها ببصرك، فأوهام القلوب لا تدركها فكيف أبصار العيون»^(٢).

وهناك في القرآن الحكيم آيات قد يتوهم منها أنه تعالى جسم، أو مرئي:

قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٣).

وقال سبحانه: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾^(٤).

لكن هذا استعمال عرفي، كما نقول: استوى الملك على سرير السلطنة. والملك لم يجلس على السرير، وإنما نقصد أنه أخذ بأزمة الحكم. أو نقول: أنظر إلى التلميذ الفلاني وقد أصبح مديراً، والحال أنه بعد تلميذ، وإنما نقصد من النظر العلم بذلك.

فيراد: أن الله مستول على أزمة الكون، أخذ بأطرافه.

وأن يوم القيامة يعلم الناس جميعاً بوجود الله، كأنهم ينظرون إليه، على خلاف ما كانوا في الدنيا شاكين فيه.

(١) الكافي: ج ١ ص ١٣٨ ح ٤، وبحار الأنوار: ج ٤ ص ٢٧ باب ٥ ح ٢.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٩٩ ح ١١، وبحار الأنوار: ج ٤ ص ٣٩ ب ٥ ح ١٧.

(٣) سورة طه: ٥.

(٤) القيامة: ٢٢ و ٢٣.

لا زمان ولا مكان

الزمان والمكان، من عوارض الجسم.
 الفراغ الذي يشغله الجسم، هو المكان.
 والبقاء الذي للجسم، هو الزمان.
 لكل جسم طول وعرض وارتفاع وامتداد وهو الزمان، كما يقول
 (أنيشتاين)^(١):

لو تخيلنا أنه لا شيء في الوجود، فهل يبقى هناك زمان؟
 كلا!

الزمان امتداد للجسم.
 إن الله خارج عن الزمان والمكان، أي ليس له مكان فيقال: الله في السماء أو
 في الأرض، أو على العرش، أو.. أو..
 وليس له زمان، فيقال: الله في يوم الجمعة، أو في شهر شعبان، أو في سنة
 ألف، أو.. أو..

إن الله ليس بجسم، فلا زمان له ولا مكان.
 فكما أنه يرى كل الأشياء، أي يرى من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب،
 من الأرض إلى منتهى الفضاء، من...

كذلك يرى كل الأزمنة، أي يرى الماضي والحال والمستقبل، في آن واحد.
 إنا لا نرى آخر المشرق، لأنه يحيط بنا المكان الذي هو المغرب - مثلاً - .
 وإنا لا نرى الماضي ولا المستقبل، لأنه يحيط بنا الزمان الذي هو الحال.
 لكن الله لا مكان له، فيرى كل الأمكنة.

(١) انيشتاين، ألبرت (١٨٧٩-١٩٥٥م) فيزيائي أميركي، ألماني المولد، يعتبر أحد أعظم عباقرة العلم،
 وضع النظرية النسبية، منح جائزة نوبل في الفيزياء لعام ١٩٢١م، من آثاره (معنى النسبية) .

ولا زمان له، فيرى كل الأزمنة.

لو فرضنا أن رجلاً وُلد في جو مملوء من الدخان، لم يتصور هذا الرجل فضاءً ليس فيه دخان، بل يظن أن كل شيء محاط بالدخان.

أما الخارج عن الدخان، فيعلم أول الدخان وآخره. لأن الدخان لم يحط بهذا الرجل الخارج.

إننا كلما تصورنا الأشياء، نتصور معها الزمان والمكان، لأننا ولدنا، زمانياً ومكانياً.

أما الله الذي هو خارج عن الزمان والمكان، فلا تحويه الأزمنة والأمكنة. قال الإمام الصادق عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالى، لا يوصف بزمان ولا مكان ولا حركة ولا انتقال ولا سكون، بل هو خالق الزمان والمكان والحركة والسكون والانتقال...»^(١).

إن الله ليس في زمان ولا مكان، لكنه مطلع على الجميع، وأخذ بأزمة الجميع.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن موسى بن عمران، كان ذات يوم جالساً إذ جاءه ملك من المشرق، فقال له: من أين جئت؟

قال: من عند الله عز وجل.

ثم جاءه ملك من المغرب، فقال له: من أين جئت؟

قال: من عند الله عز وجل.

ثم جاءه ملك آخر، فقال: من أين جئت؟

قال قد جئكم من السماء السابعة، من عند الله عز وجل.

وجاءه ملك آخر، فقال: من أين جئت؟

(١) الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٢٧٩ ح ٧ المجلس السابع والاربعون. والتوحيد: ص ١٨٤ ح ٢٠ باب نفي المكان والزمان والسكون والحركة...

قال: قد جئتكم من الأرض السابعة السفلى من عند الله عز وجل.
 فقال موسى ﷺ: سبحان من لا يخلو منه مكان، ولا يكون إلى مكان
 أقرب من مكان»^(١).
 وسمع أمير المؤمنين ﷺ رجلاً يقول: والذي احتجب بسبع طباق..
 فقال ﷺ: «يا ويلك! إن الله أجل من أن يحتجب عن شيء، أو يحتجب عنه
 شيء، سبحان الذي لا يحويه مكان، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في
 السماء»^(٢).

لا أعراض

كل شيء نراه في الوجود، تعترض عليه حالات مختلفة، وتنتابه صفات
 متباينة:

فإنسان ينام ويتحرك، ويقوم ويقعد، ويغضب ويفرح، ويأكل وينكح،
 ويشيب ويضعف، ويسمن ويهزل و.. و..

والحيوان كالإنسان، في عروض كثير من الحالات عليه.
 والنبات كذلك، ينمو ويكبر، ويزهر ويثمر، ويصفر ويهشم..
 والحجر يصلد ويرخو ويتلون..

وهكذا الحال في سائر الموجودات..

هذه الأحوال كلها من عوارض الجسم:

فمن له قلب غضب وفرح، ومن له لحم ودم صح وسقم، ومن له بطن

(١) الاحتجاج: ص ٢٠٩-٢١٠، احتجاجه ﷺ فيما يتعلق بتوحيد الله وتنزيهه عما لا يليقه من صفات...

(٢) راجع الاحتجاج: ص ٢١٠، احتجاجه ﷺ فيما يتعلق بتوحيد الله وتنزيهه عما لا يليقه به من صفات.. والإرشاد: ج ١ ص ٢٢٤ فصل في مختصر من كلامه في وجوب المعرفة بالله والتوحيد له.

وفرج يأكل وينكح، ..

وما له جسم ينمو ويدبل، أو يرخو ويتلون..

أما الله: فلا جسم له، ولذا لا يعتريه الأحوال، ولا تتبادل عليه الأعراض.

يقول القرآن الحكيم: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾^(٢).

وقال موسى بن جعفر عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالى أجل وأعظم من أن يحدّ

بيد أو رجل، أو حركة أو سكون، أو يوصف بطول أو قصر، أو تبلغه الأوهام،

أو تحيط به صفة العقول، أنزل مواعظه ووعدته ووعيده، أمر بلا شفة ولا

لسان...»^(٣).

(١) سورة البقرة: ٢٥٥.

(٢) سورة الفرقان: ٥٨.

(٣) التوحيد: ص ٧٥ ح ٣٠ باب التوحيد ونفي التشبيه.

الفصل الثاني: العدل

الله عادل

قد يرى الشخص إنساناً يجور في الحكم، فيسأل عن سبب جوره؟
والجواب على ذلك :

- ١: إنه جاهل، لا يعرف وجه الحق، ولهذا يجور.
 - ٢: إنه يتوخى بهذا الجور جلب نفع إلى نفسه، فإن المبتل يرشيه - مثلاً -
ولهذا يجور.
 - ٣: إنه يريد بذلك دفع ضرر المبتل، إذ لو لم يحكم له ضرره، فيجور فراراً
عن الضرر.
 - ٤: إنه يميل نحو المبتل، فإنه قريب أو صديق.. له، ولهذا يجور.
 - ٥: إنه خبيث يحب الباطل، ويكره الحق.
- هذه أجوبة تقع في السؤال عن علة الجور في الحكم، ومثل هذه الأجوبة تقع
في السؤال عن علة الجور في سائر الشؤون :
- فمن يقدم الرجل المستحق للتأخير، على العالم المستحق للتقديم، لا بد وأن
يكون لأحد هذه الأسباب.
- ومن يحترم من لا يستحق الاحترام، ولا يحترم المستحق له، لا يكون إلا عن
إحدى هذه العلل..
- ٦: وهناك سبب سادس للجور: وهو العجز، فإن من يسبب أحداً لأنه سلبه
شيئاً، أو غلظ عليه.. يكون عاجزاً، وإلا استوفى الحق بدون أن ينجح إلى باطل.
- هذه هي أسباب الجور، وعدم العدل.
- فهل يتوفر سبب من هذه الأسباب بالنسبة إلى الله، حتى يجور؟
- كلا!

إنه تعالى ليس بجاهل ، ولا يحتاج إلى جلب نفع ، أو دفع ضرر ، ولا يميل إلى أحد ، بل الكل عبده ، ولا قرابة ولا صداقة بينه وبين أحد ، ولا يتطرق في ذاته زيغ أو فساد ، وليس بعاجز .

فَلِمَ يَظْلَمُ؟

إن عدل الله واسع ، وليس بمعناه الضيق الذي يتبادر إلى الأذهان .

هو عادل في برئته : فلا يحكم جوراً .

عادل في قضائه : فلا يغني ولا يفقر ، ولا يشفي ولا يمرض ، ولا يميت ولا يحيي ، ولا يعز ولا يذل ، ولا يعطي ولا يمنع ، ولا .. إلا بالعدل .

عادل في جزائه : فلا يثيب ولا يعاقب ، ولا يكرم ولا يهين .. إلا بالعدل .

عادل في خلقه : فلم يخلق الشمس المضيئة ولا القمر البازغ ولا النجم الزاهر ولا البحر المائر ولا الأرض الفسيحة ولا النبات والحيوان والإنسان ولا .. إلا بالعدل .

عادل في أمره ونهيه : فلم يأمر بالواجب ولا يُحَبِّد المندوب ، ولم ينه عن الحرام ولم يُكره المكروه ، ولم يُبيح الحلال .. إلا بالعدل .

إن الفكر الضيق قد لا يدرك وجه العدل في شيء ، لكن الذنب من ضيق أفق التفكير لا من ضيق العدل .. قد نرى الصبي يضيق ذرعاً بالدواء لجهله بمنافعه ، فيسبّ الطبيب ، لكن الذنب يعود إلى فكر الطفل لا إلى علاج الطبيب .

إننا لا نعرف وجه الصلاح في كثير من الأمور ، لكن هل معنى ذلك أن ننكر الصلاح؟

كلا!

يكفي في الإدعان بالعدل ، ما نعرف من العدل فيما علمناه!

إن الشخص إذا جهل وجه الصلاح فيما يعين له الطبيب ، لا يحق له أن ينكر عدل الطبيب ، والحال أنه يرى عدله فيما يعلم ، فجهله بكثير من الأدوية

لا يبرر رميه الطبيب بالظلم لأنه أوقعه في مشقة العلاج!
يقول القرآن الحكيم: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ﴾
- أي بذي ظلم - ﴿لِّلْعَبِيدِ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٢).

وقال سبحانه: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾^(٣).

وقال عز وجل: ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾
فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا^(٥).

وقال سبحانه: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾^(٦).

وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(٧).

وسئل أمير المؤمنين عليه السلام عن التوحيد والعدل؟ فقال عليه السلام: «التوحيد أن لا تتوهمه، والعدل أن لا تتهمه»^(٨).

وسئل الصادق عليه السلام عن العدل؟ فقال عليه السلام: «أما العدل: فأن لا تنسب

(١) سورة آل عمران: ١٨٢.

(٢) سورة النساء: ٤٠.

(٣) سورة النساء: ٤٩.

(٤) سورة التوبة: ٧٠.

(٥) سورة النحل: ٣٣-٣٤.

(٦) سورة غافر: ٣١.

(٧) سورة غافر: ١٧.

(٨) خصائص الأئمة: ص ١٢٤ باب الزيادات، وروضة الواعظين: ص ٣٩ باب الكلام فيما ورد من الأخبار في معنى العدل والتوحيد.

إلى خالقك ما لامك عليه»^(١).

وقال ﷺ: «... ولا أمره - أي العبد - بشيء، إلا وقد علم أنه يستطيع فعله، لأنه ليس من صفته الجور والعبث والظلم وتكليف العباد ما لا يطيقون»^(٢).

وفي حديث: «.. بالعدل قامت السماوات»^(٣).

القضاء والقدر

للقضاء والقدر ثلاثة مواضع:

١: قضاء وقدر في التكوين: بمعنى أن الله تعالى قضى خلق الأفلاك وقدر أقوات البرية، وكذلك كل ما في الكون من الوجود فهو بقضاء الله وقدره، لا يحيد الكون عن إرادته وتقديره قدر شعرة، وهذا أمر معلوم يؤمن به كل من آمن بوجود الله تعالى.

٢: قضاء وقدر في التشريع: بمعنى أن الله شرع الدين، فأمر ونهى، وندب وحذر، وأوجب وحرّم، فوجوب الصلاة بقضاء الله، وحرمة الخمر بقضائه..

٣: وقضاء وقدر في أعمال الناس: بمعنى أن الله تعالى قضى أعمال الناس وقدر، وهذا يتصور على وجوه:

أ: أمر بالحسن، ونهى عن القبيح، وهذا معلوم لا غبار عليه.

ب: علم ما يعمل به العباد: من خير وشر، وطاعة ومعصية، وهذا بديهي، بعد ما علمنا: أن الله تعالى عالم بكل معلوم، لا يعزب عنه شيء في الأرض

(١) التوحيد: ص ٩٦ ح ١ باب معنى التوحيد والعدل، ومشكاة الانوار: ص ١٠ الباب الأول في الإيمان والإسلام وما يتعلق بهما.

(٢) الاحتجاج: ص ٣٤١ احتجاج أبي عبد الله الصادق ﷺ في أنواع شتى من العلوم.

(٣) غوالي اللآلي: ج ٤ ص ١٠٢ ح ١٥٠. قال رسول الله ﷺ: «بالعدل قامت السماوات والأرض».

ولا في السماء.

ج: أجبر العباد على أعمالهم، فلا يتمكن الإنسان من عمل، وليس هو مختار فيما يعمل، وهذا شيء تحكم البدهة بكذبه:
إنا نعمل الأعمال باختيارنا، فإن شئنا أحسننا، وإن شئنا أسأنا.
يقول القرآن الحكيم - في صدد القسم الأول - :

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۖ فَفَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزِينَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝﴾^(١).

ويقول في صدد القسم الثاني :

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۝﴾^(٢).

ويقول في صدد القسم الثالث :

أ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۝﴾^(٣)، ﴿وَاتُوا الزَّكَاةَ ۝﴾^(٤)، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ ۝﴾^(٥)، ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا ۝﴾^(٦)، ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا ۝﴾^(٧).. إلى غير ذلك من الآيات الآمرة بالحسن، والناهية عن القبيح.
ب: ﴿يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۝﴾^(٨)، وغيرها.. مما يدل على علم الله تعالى، وقد

(١) سورة فصلت: ١١-١٢.

(٢) سورة الاسراء: ٢٣.

(٣) سورة البقرة: ٤٣.

(٤) سورة المجادلة: ١٣.

(٥) سورة النحل: ٩٠.

(٦) سورة الحجرات: ١٢.

(٧) سورة الحجرات: ١٢.

(٨) سورة الطلاق: ١٢.

سبق الإشارة إلى أنه عالم بكل شيء.

ج: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ (١).

إذن:

فالخلق: لله وحده، لا يشرك فيه أحد.

والتشريع: أي سن القوانين، لله وحده، لا ينبغي لأحد أن يضاد تشريعه.

وعمل العبد:

١: حسنة، يأمر به الله.. وقبيحة، ينهى عنه.

٢: يعلمه الله.

٣: هو باختيار الشخص: إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل.

(١) سورة الانعام: ١٤٨-١٤٩.

الجبر

الجماد لا خيرة له، فلو رميته من فوق، جذبته طبعه إلى الأرض.
والنبات لا خيرة له، ينمو تحت عوامل الحر والضوء والتراب.
والمياه لا خيرة لها، تركد إذا لم تجد مسيلاً، وتسيل إذا وجدت مسرماً.
والشمس والقمر، والنجوم والسحاب، ... كلها تجري بتقدير العزيز
العليم، حسب موازين القدرة العليا.
والإنسان له ناحيتان:

١: ناحية التكوين، ويشترك في هذه الجهة مع سائر الموجودات، فالدورة
الدموية، وحركة القلب والرئة، وتصفية الكبد، وطبخ المعدة .. و.. كلها
خاضعة للقانون العام الذي أودعه الله تعالى في الجسم.

٢: ناحية الإرادة، والإنسان من هذه الجهة حر مختار.. يأكل حيث أراد،
ويشرب أنى شاء، ويمشي كيف شاء، ويعمل ويفكر، وينظر ويغمض، ويحسن
ويسيء، كل ذلك حسب إرادته ومشيتته.

إن من يزعم: أن الإنسان مجبور في عمله، كالحجر المرمي والنبات النامي،
يصادم البديهة. ولو كان الإنسان مجبوراً في عمله، لكانت القوانين والمحاكم،
والأنظمة .. و.. كلها لغواً. ولا يقول بذلك إلا من كان بعيداً عن الإنسانية.

الحيوان: مختار في كثير من أعماله - كما نشاهد - فكيف بالإنسان الذي هو
أرقى من الحيوان وأرقى؟

يقول القرآن الحكيم: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ
فَلْيُكْفُرْ﴾^(١).

(١) سورة الكهف: ٢٩.

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلَّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾^(١).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(٢).

وقال عز وجل: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾^(٤).

وفي المقام حديث ظريف، في تفسير معنى القضاء والقدر، ويوضح الاختيار. عن الحسين بن علي عليه السلام قال: «دخل رجل من أهل العراق على أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أخبرنا عن خروجنا إلى أهل الشام: أبقضاء من الله وقدر؟ فقال له أمير المؤمنين: أجل يا شيخ! فو الله ما علوتم تلعة، ولا هبطتم بطن واد، إلا بقضاء من الله وقدر.

فقال الشيخ: عند الله احتسب عنائي، يا أمير المؤمنين! فقال: مهلاً يا شيخ! لعلك تظن قضاءً حتماً، وقدرًا لازماً، لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب، والأمر والنهي والزجر، ولسقط معنى الوعد والوعيد، ولم تكن على مسيء لائمة، ولا لمحسن محمدة، ولكان المحسن أولى باللائمة من المذنب، والمذنب أولى بالإحسان من المحسن. تلك مقالة عبدة الأوثان، وخصماء الرحمن، وقدرية هذه الأمة ومجوسها.

يا شيخ! إن الله عز وجل كلف تخييراً، ونهى تحذيراً، وأعطى على القليل

(١) سورة يونس: ١٠٨.

(٢) سورة الانسان: ٣.

(٣) سورة البلد: ١٠.

(٤) سورة التوبة: ١٠٥.

كثيراً، ولم يُعص مغلوباً، ولم يُطع مكرهاً، ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً، ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾^(١).

قال: فنهض الشيخ وهو يقول:

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته يوم النجاة من الرحمن غفراناً
أوضحت من ديننا ما كان ملتبساً جزاك ربك عنا فيه إحساناً
فليس معذرة في فعل فاحشة قد كنت راكبها فسقاً وعصياناً
لا.. لا.. ولا قاتلاً ناهيه أوقعه فيها، عبت إذن يا قوم شيطاناً
ولا أحب، ولا شاء الفسوق، ولا قتل الولي له ظلماً وعدواناً
أنى يحب؟ وقد صمت عزيمته ذو العرش أعلن ذاك الله أعلننا^(٢)

وفي حديث^(٣): فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين! فما القضاء والقدر: الذين ساقانا وما هبطنا وادياً، وما علونا تلعة، إلا بهما؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: الأمر من الله والحكم، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(٤).

وقد يزعم بعض الناس: أنه لا يفيد العمل، وقضاء الله سابق، وقدره حتم!

ولننظر إلى القرآن: كيف يرد هذا القبيل من الكسالى:

قال تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ﴾^(٥).

(١) سورة ص: ٢٧.

(٢) التوحيد: ص ٣٨١ ح ٢٨ باب القضاء والقدر والفتنة والارزاق والأسعار والآجال، وكشف الغمة: ج ٢ ص ٢٨٨ وفيه: «أنت الإمام الذي نرجو بطاعته يوم النشور» باب ذكر وفاة الرضا عليه السلام وسببها و..

(٣) التوحيد: ص ٣٨٢ ح ٢٨ باب القضاء والقدر والفتنة...، وشبهه في متشابه القرآن: ج ١ ص ١٩٧.

(٤) سورة الاسراء: ٢٣.

(٥) سورة النجم: ٣٩-٤٠.

وقال سبحانه: ﴿كُلَّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾^(١).

وقال عز وجل: ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾^(٢).

وقد كانت الأنبياء عليهم السلام - وهم أعلم الناس بالقضاء والقدر - يعملون طوال حياتهم ويكدحون ويتعبون.. وكذلك الأئمة المهديون عليهم السلام، والأولياء الصالحون. فليس الاتكال على القضاء، إلا كذباً وكسالة، وشركاً من الشيطان.

(١) سورة الطور: ٢١.

(٢) سورة التوبة: ١٠٥.

الفصل الثالث: النبوة

النبي ﷺ

أرأيت الأنظمة الفاسدة التي تدير دفتها الحكومات؟
أرأيت الحروب الطاحنة، والأغلال التي على الناس، من جراء القوانين
المدنية؟

هل فكرت يوماً: في أن إنساناً واحداً، كم تضغط عليه العائلة والبيئة
والحكومة، وكم سلبت راحته العادة والعرف؟
هل فكرت: إن الإنسان - وهو حر - مغلول يده، مقيد رجلاه، مطوق
عنقه، على كل من لسانه وعينه وأذنه.. رقباء، وثم لا ترجع المنفعة إليه، وإنما
قيده بهذه القيود الجهل والاستعباد والاستغلال؟

الإنسان مسكين! وأي مسكين!
إنه ينشأ في ظلمات الرحم، ثم يُقيد بالمهد.. فإذا شبّ وزعم إنه تخلص من
السجون، فإذا بكابوس الجهل والفقر، وضغوط المرض والأنظمة الفاسدة،
تحيط به من الجهات الست.

فهو من سجن، إلى سجن، إلى سجن.. إلى أن يُقبر!
إن الله خلق العالم بميزان عادل وقسطاس مستقيم، فجعل لكل شيء
صلاحاً، ولكل حركة وسكون نظاماً، فلو حاد عن ذلك النظام، وزاغ عن
القانون العام، لكر فاسداً مفسداً.

ولا يعرف هذا النظام إلا هو سبحانه، أو من جعل أزمته بيده وعرفه
مفاتيحه، ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾^(١).

والأنبياء ﷺ هم وحدهم يعرفون سنة الله في الخلق، فهم يعرفون

(١) سورة الانعام: ٥٩.

الصالح والفساد، والرقي والانحطاط، والتقدم والتأخر، والذهب والتقهقر. وأما من سواهم، فلا يعرفون عن النظام الصالح شيئاً، فلو كُلفوا وضع الأنظمة وتقنين القوانين، فسدوا وأفسدوا، وساد الهرج، وعم الفوضى والظلم، ونجمت الحروب وانتشر عقد الاجتماع.

لو فرضنا أفراد الإنسان كأجهزة الماكينة الواحدة قلنا:

كما أن آلات الماكينة المتبددة، لا يتمكن من تركيبها على نحو الصالح، ومقتضى الصنعة الأولية لها، إلا المهندس الخبير، العارف بكيفية التركيب والنصب، حتى لو تكفل جاهل ذلك - مهما أوتي من مال وسلطان - لم يرجع إلا بإيقاف الماكينة وشلّها عن الحركة والإنتاج. ولو أخذنا: أنه تمكن من تركيبها تركيباً ناقصاً، عاد الأمر إلى خراب الآلات، وضئالة الإنتاج.

كذلك أفراد البشر: هم كأجزاء تلك الماكينة، يلزم وضع كل موضعه، وتوجيه كل إلى ما فيه صلاح المجموعة البشرية، وتحت نظام دقيق، وميزان عادل، فيلزم أولاً صوغ الفرد في قالب الكمال، حيث يصلح أن يكون عضواً في المجتمع، ثم تنظيم العائلة تنظيماً صحيحاً، يعود كل فرد منهم جزءاً بنّاءاً للعائلة، ثم تكوين الدولة التي تضم تحت جناحها شتيت العوائل، بسنّ قوانين الخير والصالح والرقي، والهيمنة على المذاهب البشرية، حتى يجري كل حسب المتوخى من العدل والإحسان.

والمنظم لمثل هذه الأمور لا يكون إلا الخالق، الذي يعرف الخير والشر، والحسن والقبيح، والصالح والفساد، والعدل والجور.. لأنه هو الذي خلق وربى وأبدع، وعلم بما في الضمائر، من الغرائز والصفات، والنزعات والإمكانات.

والمبلّغ عن الله ليس إلا النبي ﷺ الذي يوحى إليه، أو خلفاؤه المهديون وأوصياؤه المؤتمنون.

وقد رأينا في تاريخ الإنسان الطويل: أن كل جيل أخذوا بهدي الأنبياء ﷺ وسلكوا الطريق المستن لهم بنور الوحي، قل - بل عدم - فيهم الشرور، وعاشوا في رفاه ودعة.

وكل أمة رفضت الرضوخ لحكم المرسلين، وثنت عطفها عن متابعة الأنبياء، تاهت في فيافي الظلم والاعتساف، والفوضى والهرج، وكان عاقبة أمرها خسرًا. ويكفي دليلاً على المطلب مثال واحد:

إن المسلمين الذين أخذوا ببعض تعاليم الإسلام، رأيناهم وقد حلقوا إلى المستوى الرفيع، وسادوا العالم في أقل من نصف قرن، وصلح أمرهم، واجتمع شملهم، وارتفع قدرهم، وظهر عزهم، وبانت شوكتهم، واستراحوا من أكثر الأغلال الاجتماعية التي كانت عليهم، فحلّقوا والغرب تنن تحت نير الاضطهادات، في ظلم وقسوة وهمجية، يستغيثون فلا يُغاثون، ويستجيرون فلا يُجارون، يسود فيهم الفوضى والطغيان، ويحكمهم طواغيت الأرض، ويسفك دماءهم جرائيم الأمم، ويستذلهم طغمة الملوك.. حتى أخذوا قبل قرن بشيء من تعاليم الإسلام - من حيث يشعرون أو لا يشعرون - فاستراحوا وأراحوا، وانتظم نوعاً ما أمرهم وساد فيهم الصلاح والعدل، قدر ما أخذوا من التعاليم.

ولست أنا أقول هذا.. إن جورج جرداق - وهو نصراني لا يدين بدين الإسلام - يذكر في كتابه: (صوت العدالة الإنسانية):

إن علياً عليه السلام وهو عبد من عبيد محمد ﷺ - على حد تعبير الإمام نفسه - سبق مفكري فرنسا أم الحضارات في وضع وثيقة حقوق الإنسان باثني عشر قرناً تقريباً، بل فضل عليهم في جودة القانون وإتقان النظام.

ثم نرى: فرنسا هذه، حيث تحيد عن قانون الحق، التي تدعي أنها وضعت صيغتها، قبل قرن، تغلب عليها الوحشية والسبعية والقساوة، فتسوق الألوف من الجزائريين إلى المجازر الرهيبة، وتحمد صوت الحق بالحديد والنار!

نعم.. الأنبياء ﷺ هم الوحيدون في إمكان جعل النظام العادل، وهم وحدهم جعلوا هذا النظام للإنسانية، على ضوء الوحي من خالق الإنسانية. ونحن لو لاحظنا النظم الحاضرة التي تسود البلاد، ثم لاحظنا النظم الإسلامية لرأينا البون شاسعاً والفرق كثيراً، ولرأينا أن أكثر هذه الحروب الباردة والحارة، التي تهلك الحرث والنسل، وتشتعل في كل فترة، إنما هي بسبب انحراف الناس عن هدي الأنبياء ﷺ، واستبدادهم في الجعل والتنظيم وسن القوانين ووضع الأنظمة.

ولعرفنا أن الدين لو كان سائداً، وهدي الأنبياء ﷺ حاكماً، لعاش الناس في جو من الحق والعدل، والهدوء والسلام، والأخوة والصفاء.. ثم إن العراقيل التي تأخذ بالأكظام، والمشاكل التي تترى على الإنسان في هذه الأوقات، من ضغط واستعباد واستذلال، ما هي إلا ولائد الأنظمة الفاسدة والقوانين الجائرة الحائدة عن هدي المرسلين وهداية إله الخلق. فليرزح الإنسان في أثقال الجهل والفقر والمرض والفوضى والحروب والمشاكل، حتى يرجع إلى رشده، ويعرف صوابه، ويأخذ بقوانين السماء، وينبذ قوانين الجبابرة. وسيأتي يوم ذلك وهو قريب.

القوانين والدين

هناك فرقان جوهريان بين قوانين الأرض وأحكام السماء :

١ : إن قوانين الأرض ، تضعها - في أحسن الفروض - زمرة من الخبراء الذين يحبون خير البشر ، ولكن :

هل نظرهم مأخوذ عن جميع الأفراد المتشتتة في شرق الأرض وغربها ، أم مأخوذ عن أفراد بيئتهم الذين هم بعض أفرادها ، فيحسون بأحاسيسهم فقط ، ويرون في نطاق رؤيتهم ؟

هل فكرهم مستقى من جميع الظروف والأزمنة التي تعاصرهم وتأتي في المستقبل ، أم مستقى ظرفهم الملابس ، وزمانهم الخاص ؟

هل هم معصومون عن الأخطاء ؟

وهل علمهم يستوعب جميع الجهات ؟

إنها أسئلة تعترض في هذا المقام ..

والجواب :

إن فكرتهم مستقاة عن جيل معين ، وزمان محدود ، ودرايتهم غير معصومة تخطأ مرة وتصيب مرة .

وفي هذه الحالة ، كيف يمكن الركون إلى فكرهم ، وتحكيم قوانينهم .

دع عنك إن غالب المقننين تحكم عليهم الإنسانية ، وحب السلطة والقومية ،

وتميل طباعهم نحو الجور والعسف ، مما يزيغ بالقانون حتى عن نصابه الممكن .

وكثيراً ما لا يوجد شيء من هذه الميول والاتجاهات في المقنن ولكن هناك

رقيب عليه من سلطة عليا ، كما رأينا كثيراً في السلطات الدكتاتورية ، التي كانت

توجه البرلمان كيفما شاءت .

أو ينحرف عن الأكثرية، التي تتجه نحو ميولها ورغباتها المشبعة.

وهذا: بخلاف الدين.

فإن مُشرِّعه وواضع نظامه هو الله، الذي لا ينظر إلى جيل دون جيل، أو زمان غير زمان، أو بيئة لا سواها، ولا تزيغه الأهواء والميول، ولا يجهل الصلاح.

وهو تعالى - بعد هذا وذاك - أرأف بعباده من كل أحد.. ولذا يكون حكمه هو الصلاح، وشريعته هي العدل، ونظامه هو الحق، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾^(١).

٢: قوانين الأرض تعني بحاجة الجسد، وحاجة الجسد فقط.. فهي موضوعة للبيع والشراء، والزواج والطلاق، والرهن والإجارة، والتعليم والصناعة، والزراعة والري، والسرقة والتهريب.

وذلك بخلاف قوانين السماء: فهي معنية بالجسد والروح معاً.. فهي كما تعني بالزواج والطلاق، تعني بالحب والطهارة.

وكما تلاحظ البيع والشراء، تلاحظ الغش وحب الخير للطرف الآخر.

وكما تحث على التعليم، تحث على الخلوص وصفاء القلب.

وكما تحبذ الزرع، تحبذ التجويد والتوكل.

ثم تضع شطراً سخيّاً: لطهارة القلب من الكبر والحسد، والأنانية وحب

الذات، وحب الظهور وحب السلطة.. ولتحليه بالإخلاص والعطف، واللين وحب الخير، وكراهة الشر.

ولطهارة اللسان عن الكذب والغيبة، والنميمة، والغمز والبهذر.

ولطهارة البطن والفرج عن مال الحرام، والزنا، واللواط، والسحق..

(١) سورة يونس: ٣٢.

ولطهارة اليد...

ولطهارة الرجل...

ولطهارة الأذن...

ولذا نرى: أن القانون جامد لا روح له.

والدين: حيّ يتحرك وينمو، ويزهر ويثمر.

ومن سبر تاريخ الإنسان رأى أن كل مجتمع ساده الدين، عاش في ظلال الأمن والعدل، والراحة والرفاه.. وكثرت فيه المساواة والأخوة، والعطف والحنان..

وبالعكس من ذلك: المجتمع الذي نزح عن الدين، ففيه القساوة بأقصى درجاتها، والفوضى والعسف، والفساد والشر.

الأنبياء ونبي الإسلام ﷺ

إن شرائع الله لا تختلف في جوهرها وحقيقتها، وإن اختلفت في صيغها وبعض كيفياتها، إن الأنبياء كلهم أخوة، وإن تعددت أمهاتهم واختلف آبائهم. فآدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد (صلوات الله عليهم أجمعين)، إنما جاؤوا من قبل إله واحد، وكانت دعوتهم واحدة، وغايتهم واحدة، وسلوكهم واحد.

كل يأمر بالخير، وينهى عن الشر.

وكل يدعو إلى الله الحق، ويحث على العدل.

أساس علمهم الوحي، وملاك أمرهم إيقاظ الضمير، وعماد دعوتهم الحق. أولهم يصدق آخرهم، وآخرهم يصدق أولهم، وأوسطهم يصدق الأول ويدعو للأخير.

لذا نرى: أنه لا اختلاف بينهم جوهرياً، وإن حُرِّفَ المحرفون وحوِّرَ الدخلاء ولعبت الأهواء.

هذا هو الفارق الوحيد بين الأنظمة الأرضية - سواء وضعها الحكماء والفلاسفة، أو البرلمانات ومجالس القانون، أو السلطات الاستبدادية - وبين الأحكام السماوية التي هي كالبنيان المرصوص، يشد بعضه بعضاً، ويؤيد أحده الآخر.

يقول القرآن الحكيم: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾^(٢).

(١) سورة البقرة: ١٣٣.

(٢) سورة البقرة: ١٣٦-١٣٨.

الدين:

- العقيدة
- الفضيلة
- العمل العبادي
- الأعمال الآخر

ما يعتمد عليه الدين

إن الدين يعتمد على أركان أربعة :

١ : العقيدة

٢ : الفضيلة

٣ : العمل العبادي

٤ : الأعمال الأخر

وكل هذه الأمور عقلية - بحد ذاتها - وتشترك الأديان في الدعوة إليها ، وإن اختلفت صيغتها ، وتفرقت كيفياتها ، مما يرجع إلى مصالح الأجيال والأزمنة .
وسنعرض صورة إجمالية : عن أصول هذه الأركان ، إلماعاً إلى ما نحن بصددده .

١: العقيدة

العقيدة ترجع أصولها إلى ثلاث:

الإيمان بالله

الأول: الإيمان بالله: خالق الخلق، وباسط الرزق، الحي القيوم، القدير العليم، الذي لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، ولم يكن له شريك في الملك، العدل الذي لا يجور ولا يظلم، الرؤوف الرحيم، الذي له ملك السماوات والأرض.. والإيمان بملائكته: الذين هم عباد مكرمون لا يعصون الله وهم بأمره يعملون. يقول القرآن الحكيم: ﴿قُلْ يَاهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(١).

ثم هل من المعقول أن عيسى عليه السلام أو غيره من الأنبياء عليهم السلام كانوا يأمرّون الناس بالشرك، أو ينسبون إلى الله تعالى ما لا يليق بشأنه من الظلم أو الجهل، أو العجز، أو.. أو..؟
كلا، ثم كلا!

الإيمان بالأنبياء

الثاني: الإيمان بالأنبياء والرسل، والأوصياء والخلفاء، ما تقدم منهم وما تأخر، ومعنى ذلك: الاعتقاد بأن الله أرسل سفراء إلى البشر، يهدوهم إلى الحق وإلى طريق مستقيم، وينقذوهم من الهلاك والبوار، والتكالب والفساد، و.. و.. ومن المعلوم: إن أول الرسل يُصدّق آخرهم، وآخرهم يُصدّق أولهم،

(١) سورة آل عمران: ٦٤.

وأوسطهم يُبشّر بمن يأتي ويعترف بمن تقدم.

وهكذا بالنسبة إلى أوصياء كل رسول - الذي هو مبحث الإمامة - .
وحال الأنبياء والأوصياء بالنسبة إلى هذا: حال الحكام الذين يعينهم رئيس
الحكومة متعاقباً على البلاد، فإن أولهم يعلم بأن سيلحقه خلف، وآخرهم
يدري بأن سبق له سلف، وأوسطهم يعترف بسلفه ويعلم بخلفه.

يقول الله تعالى في نبوة عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي
إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا
بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾^(١).

ويقول في نبوة إبراهيم عليه السلام وأنه دعا لإرسال النبي محمد ﷺ: ﴿رَبَّنَا
وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٢).

ويقول في تصديق النبي محمد ﷺ لمن تقدمه من الأنبياء عليه السلام: ﴿قُولُوا
آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ
أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ
اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٤).

وقال سبحانه: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ
بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾^(٥).

(١) سورة الصف: ٦.

(٢) سورة البقرة: ١٢٩.

(٣) سورة البقرة: ١٣٦.

(٤) سورة البقرة: ١٣٠.

(٥) سورة البقرة: ٢٨٥.

إن أنبياء الله ﷺ لهم رسالة واحدة، والله يعلم أشخاصهم: أولهم وآخرهم، فلم لا يخبر كل نبي ويبشر أمته بنبي لاحق؟ وكيف لا يلزم كل نبي أن يأخذ من أمته الاعتراف بالأنبياء السابقين، وهم ممثلون لحقيقة واحدة، وخلفاء لإله واحد؟ والأمم - بهذا الاعتبار - واحدة، لأن كلهم أمة الله، وكلهم رعية الملك الواحد.

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾^(١). وبالرغم من كل تحريف وتحويل حدث في الكتب السابقة، فقد اشتملت على جملة دلالات تفيد البشارة بالنبي اللاحق.

الإيمان بالمعاد

الثالث: الإيمان بالمعاد، وأن الله يبعث الموتى بعد أن صاروا في التراب رميماً، لأن يجزي المحسن بالحسنى، والمسيء بالسوءى، فيحاسب الناس على أعمالهم، وله كتاب حفيظ لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، في صعيد واحد: اسمه المحشر، وهنالك يخسر المبطلون ويفوز المحسنون.

وهذا شيء اتفقت عليه أنبياء الله ﷺ، لا فرق بين آدمهم ومحمدهم، وعيساهم وموساهم.. (عليهم أفضل الصلاة والسلام).

وإِلَّا فَلِمَ جَاؤُوا؟

وبما ذا بشروا؟

وعماذا أُنذروا؟

يقول القرآن الحكيم: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي

(١) سورة الانبياء: ٩٢.

الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴿١﴾ .

وقال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ * إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٢﴾ .

٢: الفضيلة

دين الإسلام يأمر بالفضائل، وينهى عن الرذائل.. وهي بالإضافة إلى كونها عقلية، تتفق الأديان السماوية فيها، فلا ترى فضيلة في دين الإسلام إلا وهي فضيلة في شريعة المسيح أو الكليم ﷺ . ولا تكون رذيلة نهى عنها الإسلام، إلا وقد نهى عنها شرائع السماء كافة.

أصول الفضائل

وترجع أصول الجميع إلى ستة:

طهارة اللسان، طهارة السمع، طهارة البصر، طهارة القلب، طهارة البطن، طهارة الملمس.

١. أما طهارة اللسان: فمن الكذب، والغيبة، والبهتان، والسخرية، والخوض في الباطل، وشهادة الزور، والحكم بالباطل...
٢. وأما طهارة السمع: فمن استماع الغناء والكذب، و.. و..
٣. وأما طهارة البصر: فمن أن يمد عينه إلى ما ينافي الصلاح..

(١) سورة يس: ٧٨-٧٩.

(٢) سورة يس: ٨١-٨٢.

٤. وأما طهارة القلب : فمن الغل والحسد ، والكبر ، والرياء ، والنفاق ،
والعُجب ..

٥. وأما طهارة البطن : فمن المحرّم من المأكّل والمشارب : كالسرقة والخيانة ..

٦. وأما طهارة الملمس : فمما ينافي العفة ..

فهل يمكن : أن لا ينهى نبي عن الخيانة ، أو لا يأمر بالصدق ، أو يبيح الوقوع
في أعراض الناس ؟
كلا !

اتفقت كلمة الأنبياء ﷺ على الصلاح والطهارة ، والعفة والنزاهة ،
والاستقامة في العمل ، والخلق والعشرة .

يقول القرآن الحكيم عن عيسى عليه السلام : ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا
شَقِيًّا﴾^(١) .

ويقول عن رسول الله محمد ﷺ : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢) .

(١) سورة مريم : ٣٢ .

(٢) سورة القلم : ٤ .

٣: العمل العبادي

اتفقت رسالات الله في الصلاة، والزكاة، والحج، والجهاد، والأمر بالخير، والنهي عن الشر، وتولي الصالحين، والتبري من المفسدين.

وهي التي تعتبر في الشريعة الإسلامية - بإضافة الخمس الذي هو شقيق الزكاة - الفروع العبادية.

وهذه بالإضافة إلى أن الكتب السماوية مليئة بها - وبالأخص القرآن الحكيم - : أمور تأمر بها العقول، وتستحسنها الطباع.

أليست الصلاة: شكراً عن الله لنعمه، وخضوعاً لعز جلاله؟ وهل يرتاب عاقل في استحقاق الخالق الرازق العطوف الودود.. للشكر والخضوع؟!

أليست الزكاة والخمس: حقاً مالياً يؤديها الأغنياء للمصالح العامة التي منها إقامة أود^(١) الفقير، وترفيه الحياة على البائس المسكين؟!

أليس الحج: قصداً إلى بيت الله، الذي جعله علماً للناس، يتذكرون فيه ربهم، ويثوبون إلى رشدهم، ويطهرون بأعمالهم الروحانية رواسب أنفسهم...؟.

أليس الجهاد: دفعاً للمفسدين، وتطهيراً للأرض عن الطواغيت المسيطرين، وتخليصاً للضعفاء عن براثن الظالمين المستعبدين، وكسراً لقيود الجهل والخنوع أمام من لا يستحق الإعظام...؟

أليس الأمر بالخير، والنهي عن الشر: حماية يقوم بها الاجتماع الصالح، حتى لو قل المصلحون لفسدت الأرض ومن عليها؟

أليس تولي الصالحين والتبري من المفسدين: من دعائم المجتمع الخير حتى

(١) الأود: الاعوجاج والانحناء.

يرغب الناس في الخير، ويقلعون عن الشر؟ ولذا نشاهد في المجتمعات الراقية يعظمون العلماء والمصلحين، ويرثون المفسدين والجهلة.

إن هذه هي عباديات الإسلام، وهي دعائم كل دين من الأديان السماوية، حتى أنك لا تجد شريعة من شرائع الله خالية من هذه الأمور.

يقول القرآن الحكيم عن النبي عيسى عليه السلام: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾^(١).

ويقول مخاطباً أمة النبي محمد ﷺ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾^(٢).

وفي الحديث: «إن موسى عليه السلام حج، وحج قبله وبعده الأنبياء عليهم السلام»^(٣).

ويسترسل القرآن الكريم في الأوامر العبادية:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾^(٤).

وقال سبحانه: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(٥).

وقال عز وجل: ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾^(٦).

وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾^(٧).

وقال سبحانه: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ

(١) سورة مريم: ٣١.

(٢) سورة البقرة: ١٨٣.

(٣) راجع بحار الأنوار: ج ٩٦ ص ٦٤ باب ٥ ح ٤١.

(٤) سورة آل عمران: ٩٧.

(٥) سورة آل عمران: ١٠٤.

(٦) سورة الانفال: ٧٢.

(٧) سورة الفتح: ٢٩.

حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴿١﴾.

وقال عز وجل: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ ﴿٢﴾.

وقال تعالى: ﴿وَعَهْدُنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهَرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ ﴿٣﴾.

بل: يذهب القرآن إلى أبعد من هذا، فيقول: إن الإسلام بما يشتمل عليه من أحكام، هو دين الأنبياء كافة، وإن من يرغب عنه فهو مخالف للأنبياء، وليس ذلك إلا لأن شريعة الأنبياء واحدة في الجوهر والحقيقة، وإن اختلفت في الشكل والحدود.

قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ... إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿٤﴾.

(١) سورة المجادلة: ٢٢.

(٢) سورة البقرة: ١٢٧.

(٣) سورة البقرة: ١٢٥.

(٤) سورة البقرة: ١٣٠-١٣٢.

٤: الأعمال الآخر

في تنظيم المجتمع لابد وأن توضع أحكام للمعاملات، والزواج والطلاق، والحدود للجنايات، إذ الإنسان بطبعه ميال إلى الاجتماع، والأخذ والعطاء، كما بذاته يميل - كثيراً - إلى الجناية والإجرام.

ورقي الجامعة وانحطاطها - في الأغلب - يتبع رقي الجهاز الارتباطي بين أفرادها وانحطاطها، فالمجتمع الخير هو المجتمع الذي يكون العدل سائداً على أنظمتها، والمجتمع الفاسد هو الذي يسوده الظلم والعسف، ويتفشى فيه الإجرام. والإسلام - كسائر شرائع السماء - يعتني بهذا الجهاز بكمال الدقة وغاية الإيضاح والشرح، حتى لا يخفى شيء يسبب الزيغ والانحراف.

فمثلاً: يقول القرآن - في صدد التبادل - : ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾^(١).

وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾^(٢).

ويقول - في صدد الدين - : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ... وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رَجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ ... وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾^(٣).

(١) سورة البقرة: ٢٧٥.

(٢) سورة النساء: ٢٩.

(٣) سورة البقرة: ٢٨٢.

ويقول - في صدد إبداء الشهادة - : ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾^(١).

ويقول - بصدد النكاح - : ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٢).

وقال سبحانه : ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرِبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾^(٣).

ويقول - بصدد الطلاق - : ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا ... * فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ... * وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبُغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لَتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾^(٤).

ويقول - في صدد الرضاعة - : ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعُهَا لَا تَضَارُّ وَالِدَةُ بَوْلِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾^(٥).

ويقول - في صدد القصاص - : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرُّ بِالْحَرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾^(٦).

(١) سورة البقرة: ٢٨٣.

(٢) سورة النور: ٣٢.

(٣) سورة النساء: ٣.

(٤) سورة البقرة: ٢٢٩-٢٣١.

(٥) سورة البقرة: ٢٣٣.

(٦) سورة البقرة: ١٧٨.

و قال سبحانه: ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ
وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذْنَ بِالْأُذْنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ
بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ (١).

ويقول - في صدد الأطعمة والأشربة - : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ
وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ
وَالْمَيْسِرِ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿وَيَحِلَّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتُ وَيَحْرَمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثُ﴾ (٣).
وقال سبحانه: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ (٤).

وهكذا يذكر الإسلام كل حكم حكم، ويعتني بالمجتمع عناية فائقة، وليس
بدعاً في ذلك، فقد كانت شرائع السماء - كلها - من لدن آدم عليه السلام إلى أن أفرغت
صيغتها الأخيرة من لسان النبي محمد ﷺ معتنية بهذه الجهة.

وفي يدنا آثار كثيرة من شرائع الأنبياء السالفين عليهم السلام، وإن نسجت عليها
عناكب التحوير والتحريف، فأصبح الباقي منها كبقايا دمنة، أو كبقايا أزهار
سحب عليها الخريف ذيله فلم تبق منها إلا زهور متناثرة هنا وهناك.

نعم قد عرفت: أن بين الشرائع اختلافات يسيرة، لكنها لا ترجع إلى
جوهرها وأصلها، وإنما ترجع إلى كفياتها وهيئاتها وأجزائها وشرائطها.
قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾ (٥).

ولا يرجع هذا الاختلاف، إلا لاختلاف مقتضيات الأزمنة، وتغاير أحوال

(١) سورة المائدة: ٤٥.

(٢) سورة المائدة: ٩٠-٩١.

(٣) سورة الاعراف: ١٥٧.

(٤) سورة الاعراف: ٣١.

(٥) سورة المائدة: ٤٨.

الأجيال التي شرعت لها الأديان.

مثلاً: كون قبلة النبي موسى عليه السلام بيت المقدس ، وقبلة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الكعبة لا يرجع إلى أنه بدا لله عدم صلاحية القبلة الأولى ، تعالى عن ذلك ، بل يرجع إلى أن المعمورة توسعت في زمان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وامتدت من جوانب الكعبة حتى صارت كالوسط بينها ، مما ينبغي أن تكون قبلة ومتجهاً ، بينما كان بيت المقدس بالنسبة إلى أمة موسى عليه السلام هكذا.

هذه هي شرائع الله وقوانين السماء وأنظمة الأديان ، فهل ترى فيها تبايناً واختلافاً؟!

قال سبحانه: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(١).

أو هل ترى أنها قابلة للتغير: فيصبح الله وله شريك؟! أو يصبح الصدق رذيلة؟! أو يصبح إعانة الفقراء بالزكاة مذمومة..؟
كلا!..

لا يكون ذلك أبداً.

(١) سورة النساء: ٨٢.

ختم الأنبياء

للإنسان في الحياة دورة: يبتدئ طفلاً، ثم يافعاً، ثم كهلاً.. ولكل من هذه الأحوال مقتضيات: فمقتضى الطفولة اللعب واللهو.. ومقتضى اليفاة العلاقة بالسياحة والتفاخر.. ومقتضى الشباب النشاط والعمل والجد.. ومقتضى الكهولة الفكر والتجربة.. ثم ليس بعد ذلك شيء في هذه الدنيا.

وكذلك الثقافة: فتبتدئ المدرسة من الصف الأول.. متدرجاً إلى آخر صف من الكليات والمعاهد العالية، فتدريس الدرس الخاص بالخامس - مثلاً - خطأ في غيره.. متقدماً أو متأخراً.

ولو نظرنا إلى أدوار الإنسانية في هذا الكوكب، لوجدناها كأدوار الفرد الواحد. ولو أمعنا في شرائع الأنبياء ﷺ - في القرون المتلاحقة - لألفيناها كدروس المدارس.

كل جيل يتطلب ثقافة خاصة، وشريعة تلائمها. وكل شريعة تناسب زمانها وتوافقها. هذا: بعد أن علمنا أن الأديان متفقة في الجوهر، وإن اختلفت في الخصوصيات.

فهي كالرياضيات - مثلاً - التي تبتدأ من الصف الرابع إلى آخر صف من كلية الهندسة، فكلها رياضيات ولكن تتفاوت حسب تفاوت الأفهام، وتدرج في الكمال حسب تدرج مراتب العقل في التلاميذ.

كانت الأنبياء ﷺ مختلفة من حيث عموم الدعوة وخصوصها: فدعوة يونس عليه السلام - كما يقول القرآن الكريم:

﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِثَّةِ آلَافٍ أَوْ يُزِيدُونَ﴾^(١) - كانت خاصة بهذه الكمية من

(١) سورة الصافات: ١٤٧.

أفراد البشر..

ودعوة لوط عليه السلام كانت بأهل بلده..

وهكذا دعوة صالح وهود، وشعيب عليهم السلام..

وذلك يرجع على الأغلب - كما يحتمل - إلى أن الأمم كانت متباينة، وكانت وسائل الاتصال فيما بين البلدان قليلة جداً، فكان من الصعب أن ينتشر في جميع الأمم وشعوبها دعوة موحدة، ولذا فقد كان في كثير من الأجيال في زمان واحد نبيّان أو أكثر، هذا يدعو قومه وذاك يدعو قومه.

بالإضافة إلى أن المفاسد التي كانت سائدة في قوم غير المفاسد التي كانت تغزو قوماً آخر، فكان نبي كل فريق يأتي لإصلاح مفاسد قومه.

وكان من بين الأنبياء الذين عددهم: مائة وأربعة وعشرون ألفاً - كما في الأحاديث^(١) - خمسة تعم دعوتهم شرق الأرض وغربها وهم:

١: نوح عليه السلام.

٢: إبراهيم عليه السلام.

٣: موسى عليه السلام.

٤: عيسى عليه السلام.

٥: محمد عليه السلام.

وذلك لما كان لانتشار تعاليمهم من إمكان، ولما كان في شريعتهم من كمال،

(١) قال رسول الله ﷺ: (إن أول وصي كان على وجه الأرض هبة الله بن آدم، وما من نبي إلا وله وصي، وكان عدد الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرين ألف نبي خمسة منهم أولو العزم...) الخ راجع إعلام الدين: ص ٤٦٤ فصل في حسن الظن بالله.

وعن علي بن الحسين عليهما السلام: (من أحب أن يضافحه مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي فليزر الحسين عليه السلام ليلة النصف من شعبان...) بحار الأنوار: ج ١١ ص ٣٢ ب ١ ح ٢٥.

وقال الصدوق (طيب الله ثراه): إعتقادنا في عدد الانبياء ﷺ أنهم مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي، ومائة ألف وصي وأربعة وعشرون ألف وصي، (قصص الأنبياء للجزائري) ص ٤.

ولما كان في نفوسهم من قوة وعزم، ولعلّ هذا هو سبب تسمية هؤلاء الخمسة :
بـ: (أولي العزم).

وحيث إن الأمم كانت متدرجة في الرقي، ولم يبلغ بعدُ كمالها اللائق بإلقاء
الرسالة الإصلاحية عليها، نسخت كل شريعة لاحقة ملابسات الشريعة السابقة،
وتوسعت في العمق والكمال، وإن أبقى الجوهر على حاله الأول.

ولو شبهنا الأمم في زمان نوح وإبراهيم عليهما السلام بالطفل الذي لا يستحق
أكثر من دراسة الابتدائية، وفي زمان موسى وعيسى عليهما السلام باليافع الذي
لا يستحق أكثر من دراسة الثانوية، وفي زمان محمد صلى الله عليه وآله بالشاب المكتمل الذي
يصلح لدخول المعهد وإلقاء الدروس النهائية عليه، لم نكن بعيدين عن الحق.

ولعلّ يشير إلى هذا، كلام النبي محمد صلى الله عليه وآله : «بعثت لأتمم مكارم
الأخلاق»^(١). فإن مكارم الأخلاق سادت الناس بفضل تعاليم الأنبياء عليهم السلام،
والنبي محمد صلى الله عليه وآله هو المتمم لها.

هذا هو مبعث النبي صلى الله عليه وآله، وهذا هو شركة شريعته مع شرائع السماء
السابقة، وهذا هو المائز بين دينه وسائر الأديان.

إن شريعة النبي محمد صلى الله عليه وآله هي الصيغة الأخيرة لإصلاح البشر، وقد
اشتملت من المبادئ الإصلاحية ما يجعلها جديرة بالبقاء والخلود.

فهي خالدة ما دام الإنسان على ظهر الأرض.

يقول القرآن الحكيم: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾^(٢).

ويقول - عن الإسلام - : ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ
وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٣).

(١) مكارم الأخلاق : ص ٨.

(٢) سورة الاحزاب : ٤٠.

(٣) سورة آل عمران : ٨٥.

وفي الحديث: «حلال محمد ﷺ حلال إلى يوم القيامة، وحرام محمد ﷺ حرام إلى يوم القيامة»^(١).

ولن تفلح الإنسانية، إلا بالتمسك بشريعته ﷺ، والأخذ بتعليمه واتباع هديه والخضوع لأحكامه.

إنه لا جمود ولا رهبة ولا خرافة ولا تمويه.

إنه الحق والبقاء والخلود.

أهل! يمكن أن يأتي زمان لا تحكم فيه هذه الآيات؟:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾^(٢).

وقوله سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾^(٣).

وقوله عز وجل: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾^(٥).

وقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾^(٦).

..و

(١) بصائر الدرجات: ص ١٤٨ ح ٧.

(٢) سورة النحل: ٩٠.

(٣) سورة المائدة: ٢.

(٤) سورة آل عمران: ١٠٤.

(٥) سورة الإسراء: ٢٩.

(٦) سورة النساء: ٥٨.

دليل النبوة

النبي هو خليفة الله في الأرض.

فهل نقبل قول من يدعي هذا المنصب الخطير، بمجرد دعواه؟

كلا!

إننا لا نقبل من الطبيب دعواه الطب إلا بعد أن يبرز شهادته، ولا نقبل من

المهندس دعواه المقدرة على التخطيط والهندسة إلا بعد أن نرى (دبلومه)..

فهل نقبل من رجل يدعي: أنه مرسل من عند إله الكون، ومن بيده أزمة

الحياة والموت.. بمجرد أنه يقول: أنا نبي مرسل؟

لا.. لا يكون هذا أبداً.

إذن: لا بدّ من دليل يشهد لصدق كلامه، وليس الدليل إلا تصديق الله أنه

رسوله.

وما هو الدليل؟

هل نرى الله؟ والله غير ممكن رؤيته.

أم نسمع كلامه؟! فليس الله يكلم كل أحد.

إن دليل النبوة: هو أن يظهر النبي ﷺ خرقاً لناموس العادة، مما لا يتمكن

عليه إلا الله وحده، فهذا هو دليل الرسالة.

فإن خرق نواميس الكون التي جرت عليه العادة، لا يتمكن منه إلا من كان

خليفة لله تعالى.

وقد أبدى الأنبياء ﷺ خوارق رقع البشر أمامها، ولم يتمكنوا من الإتيان

بمثلتها، وبذا نجحت دعوتهم، والتف البشر حولهم، وقبلوا قولهم، وصدقوا ما

أتوا به من عند ربهم.

فكانت لموسى عليه السلام تسع آيات بينات ، والتي منها : أن يلقي عصاه فإذا هي حية تسعى ، ومنها : أن يدخل يده تحت إبطه ثم يخرجها فإذا هي كالشمس المشرقة ..

يقول القرآن الكريم : ﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ * وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ * اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (١).

وكانت لعيسى بن مريم عليه السلام خوارق ظاهرة لا يرتاب فيها أحد : فكان يبرئ الأكمه ، ويشفي الأبرص ، ويحيي الموتى ، ويخلق من الطين طيراً ..

يقول القرآن الحكيم : ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * ... وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ * وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (٢).

وكان إبراهيم عليه السلام لم يحترق بالنار التي أوقدت لأجله .

يقول القرآن الحكيم : ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (٣).

(١) سورة القصص : ٣٠-٣٢.

(٢) سورة آل عمران : ٤٥ و ٤٨ - ٤٩.

(٣) سورة الانبياء : ٦٩.

وكذا معاجز سائر الأنبياء ﷺ : كناقاة صالح وطوفان نوح ﷺ .
فكان يأتي كل نبي بمعاجز تناسب أزمته ، لتكون أقوى في الحجة وأولى في
القبول :

فكان زمن موسى ﷺ قد فشى فيه السحر ، ونبيغ سحرة ماهرون ، ولذا
أتى هو ﷺ باليد البيضاء ، والعصا ، فإذا رأتها السحرة أذعنوا بأنها فوق
السحر ، وخارقان لا يكونان إلا بإذن الله ، فآمنوا بإله موسى ﷺ وعرضوا
أنفسهم لاضطهادات فرعون وتعذيبه .

وكان زمن عيسى ﷺ قد انتشر فيه علم الطب ، وكان هناك أطباء
ماهرون ، ولذا أتى هو ﷺ بإحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص .
ولو انعكس الأمر :

فكان يأتي موسى ﷺ بخوارق عيسى ﷺ لقال معاصروه : إنا لا نعرف
الطب ، ولعل ما أتيت به من أقسام الطب الراقي .
وكذا لو أتى عيسى ﷺ بمعاجز موسى ﷺ ، لقال معاصروه : إنا لا
نعرف السحر ، ولعل ما أتيت به من أقسام السحر الراقي .

فلم تكن تكمل الحجة ، ولكان للناس العذر في الرد وعدم القبول .
أما إذا كانوا أطباء ، واعترفوا بأنه فوق مقدور علم الطب . أو كانوا سحرة
وعجزوا عن أن يأتوا بمثله ، فلا يبقى ريب في أنه ليس بمتناول البشر ، وإنما هو
بإشارة من الله الحكيم ، الذي تعنوله حياة العناصر ، وتخضع لأمره الأرض
والسما .

محمد ﷺ والقرآن

بزغ نور نبي الإسلام محمد ﷺ وقد انحمد نور العلم، وسيطر على العرب الجهل، ولم يكن لهم حظ من الثقافة، فكيف يثبت لهم أنه نبي من عند الله يجب اتباع تعاليمه؟!

لا طريق إلا بأن يأتيهم بمثل ما هم عارفون به، ثم يتحداهم بأن يأتوا بمثله. وكانت معرفتهم منحصرة في البلاغة، وقد وصلوا إلى قمتها، فكانوا يعقدون الأندية، ويقيمون الأسواق، لأجل هذه الغاية، وقضية سوق عكاظ^(١) مشهورة. فأتى النبي محمد ﷺ بـ(القرآن الحكيم) ودعا العرب كافة إلى أن يأتوا بمثله، فأحجموا ولم يتمكنوا.

ثم دعاهم ثانية: إلى أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات، فلم يتمكنوا.
ثم دعاهم ثالثة: إلى أن يأتوا بسورة من مثله - ولو كانت كأقصر السور:
﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾^(٢).

أو ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^(٣).

فلم يتمكنوا.

يقول القرآن الحكيم: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا

(١) إسم سوق للعرب بناحية مكة، كانوا يجتمعون بها في كل سنة يقيمون شهراً ويتبايعون ويتناشدون شعراً ويتفاخرون.

(٢) سورة الكوثر: ١-٣.

(٣) سورة الإخلاص: ١-٤.

بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿١﴾.

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ (٢).

وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (٣).

ولم تكن معجزة النبي ﷺ منحصرة في القرآن، فقد حفظت عنه التواريخ معاجز كثيرة، لكنها كانت وقتية (٤) ولم تكن مثل القرآن باقية إلى هذا اليوم.

(١) سورة الإسراء: ٨٨.

(٢) سورة هود: ١٣-١٤.

(٣) سورة البقرة: ٢٣-٢٤.

(٤) راجع كتاب (مدينة المعاجز) للبحراني، و(بحار الأنوار) للمجلسي، و(من معاجز النبي ﷺ) للشيرازي حيث جمع فيه آلاف المعاجز لرسول الله ﷺ.

القرآن وسائر الكتب

إن الله لا يُنزل إلا الحق، ولا يقول إلا الحق، لكن الجاهلون والمعادنون يخلطون الحق بالباطل والصحيح بالسقيم.

كانت التوراة المنزلة على موسى عليه السلام هدىً ونوراً، وكان الإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام حقاً وصواباً، لكن ما لبثت اليهود والنصارى بعد نبينا، إلا وحرّفاً وبدلاً وأدخلا في الكتابين ما ليس منهما، وأخرجاً منهما ما كان منهما. ويكفي أقل نظر إلى هذين الكتابين: الذين يعبرّ عنهما بـ (العهدين) أو (الكتاب المقدس)، للإذعان بما ذكرنا من وقوع التحريف والتحويل الشائن فيهما، فهل يعدّ من وحي السماء، وكلام الله الحكيم؟ :

١: ما ينقله سفر التكوين، الإصحاح التاسع عشر: عن لوط عليه السلام أنه شرب الخمر وزنى مع بنته الكبرى، ثم شرب في الليلة الثانية الخمر وزنى مع بنته الصغرى!

٢: ما ينقله سفر أشعيا، الإصحاح العشرين: من أن الله أمر أشعيا النبي أن يمشي مكشوف العورة والإستهة ثلاث سنين، ففعل النبي أشعيا!

٣: ما ينقله سفر حزقيال، الإصحاح الرابع: من أن الله أمر نبيه حزقيال، أن يأكل خبزاً من الشعير على الخراء الذي يخرج من الناس يخبزه أمام عيون الناس!

٤: ما يقوله بولس، في رسالته إلى أهل غلاطية، في الإصحاح الثالث: المسيح افتدانا من لعنة ناموس، إذ صار لعنة لأجلنا، لأنه مكتوب: (ملعون كل من علق على خشبة)!

ودع عنك الخرافات التي تثبتها مما يندى لها الجبين: كمصارعة الله لبعض أنبيائه، وكون بعض الأنبياء ولد زنا، ومشى الله في الجنة، ونزوله لتفريق كلمة الناس..^(١)

فهل كتاب يلعن مثل عيسى المسيح ﷺ، وينسب إلى الزنا بذات المحارم مثل لوط ﷺ ويستهزئ بأنبياء الله -: من أكلهم العذرة ومشيهم عاري العورة والإسته... كتاب وحي من عند الله وهدى ونور؟! كلا.. وألف كلا!

ولقد صدق الله تعالى حيث يقول: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ...﴾ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ...^(٢)

وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾^(٣).

فهم كما قال القرآن الحكيم: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَثْقَالًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ...﴾^(٤).

ثم إن كتاب (العهدين) كتاب عجيب يفضل عليه كتب التواريخ والقصص،

(١) راجع كتاب (ماذا في كتب النصارى؟) للإمام المؤلف رحمه الله.

(٢) سورة المائدة: ١٣-١٤.

(٣) سورة البقرة: ٧٩.

(٤) سورة الجمعة: ٥.

فهو كتاريخ حشوه مضطرب اللفظ والمعنى، بعيد غاية البعد عن الذوق والفكر. وقد شهدت تواريخ أهل الكتاب أنه حرّف، ثم حرّف، ثم حرّف، كما يظهر ذلك لمن راجع (الهدى) أو (الرحلة) للعلامة البلاغي رحمته الله. أما القرآن الحكيم، فهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقال الله تعالى فيه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١). وفيه من الحكم والأحكام، والأخلاق والآداب، والمواعظ والنصائح، والحق والعدل، والصدق والفصاحة، والحضارة والثقافة، وأحوال المبدأ والمعاد، والجنة والنار، والدنيا والآخرة، وقصص الأنبياء عليهم السلام بما يليق بهم من نزاهة وطهارة، وحكاية الأمم الغابرة، والأمثال والعبر و...، بحور وبحور! كيف لا يكون كذلك، وهو كلام الله ووحيه، وهدهد ونوره، ودستوره للخلق إلى يوم يبعثون؟

(١) سورة الحجر: ٩.

الفصل الرابع: الإمامة

الإمام عليه السلام

من هو الإمام؟

وما هي صفاته؟

ومن يعينه؟

وما سمته وعلائمه؟

هذه أسئلة جديرة بالمطالعة:

١: الإمام عليه السلام هو خليفة الرسول ﷺ، فيما كان للرسول: من عزل ونصب، وسلطان وشأن، وحفظ للدين، وتبليغ للأحكام، وطهارة وقداية. منتهى الأمر أن الرسول ﷺ يخبر عن الله تعالى، والإمام عليه السلام يخبر عن الرسول ﷺ.

٢: صفات الإمام عليه السلام هي صفات الرسول ﷺ - غالباً -، فكل منهما: عالم، ورع، شجاع، جواد، حسن الأخلاق، لطيف الشمائل، طاهر النفس، معصوم - وسيأتي معنى العصمة -، غيور، ملتزم بالأحكام، عامل بما يقول، زكي الجوارح..

٣: يُعين الإمام عليه السلام الرسول ﷺ، بأمر من الله عز وجل.

٤: علائم الإمام عليه السلام كثيرة، لكن من أبرزها: أن يكون أفضل أهل زمانه، حتى لا يُفضل عليه أحد في منقبة، ولا يعلو عليه أحد في صفة، فهو الكامل وغيره ناقص.

هذه هي الأمور الأساسية في الإمام عليه السلام، ويتبع كل أمر منها مباحث نشير

إلى أصولها إشارة إجمالية:

من هم الأئمة عليهم السلام؟

الأئمة الذين عينهم رسول الله ﷺ اثني عشر:

- ١: الإمام أمير المؤمنين ، علي بن أبي طالب عليه السلام.
- ٢: الإمام المجتبي ، الحسن بن علي عليه السلام.
- ٣: الإمام الشهيد ، الحسين بن علي أبو عبد الله عليه السلام.
- ٤: الإمام السجاد ، علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام.
- ٥: الإمام الباقر ، محمد بن علي عليه السلام.
- ٦: الإمام الصادق ، جعفر بن محمد عليه السلام.
- ٧: الإمام الكاظم ، موسى بن جعفر عليه السلام.
- ٨: الإمام الرضا ، علي بن موسى عليه السلام.
- ٩: الإمام التقي ، محمد بن علي الجواد عليه السلام.
- ١٠: الإمام النقي ، علي بن محمد الهادي عليه السلام.
- ١١: الإمام العسكري ، حسن بن علي عليه السلام.
- ١٢: الإمام الحجة ، المهدي بن الحسن عليه السلام.

أما الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فهو ابن عم النبي محمد ﷺ.

وأما بقية الأئمة ، فهم أبناء أمير المؤمنين عليه السلام - من جهة الأب - وأبناء النبي

ﷺ من جهة فاطمة عليها السلام.

وفاطمة عليها السلام هي بنت النبي محمد ﷺ ، ولها من الفضائل ما للأئمة

عليهم السلام ، بل هي أفضل منهم - كما في الأحاديث^(١).

(١) راجع مقدمة كتاب (من فقه الزهراء عليها السلام) المجلد الأول ، للإمام المؤلف رحمته الله.

ما هي صفات الإمام عليه السلام ؟

إذا جمعنا صفات الإمام عليه السلام في كلمة موجزة قلنا:

الإمام هو أفضل أهل زمانه، وليس هذا فحسب، بل لا يكون أحد - ممن تجب عليه طاعة الإمام - أفضل منه.

إن الإمام عليه السلام خليفة الله وخليفة رسوله، وكيف ينتخب الله والرسول صلوات الله وسلامه شخصاً، وفي الأمة من هو أفضل منه؟

الشخص العادي إذا أراد أن يعين لنفسه خليفة يخلفه في شؤون طيفة، يختار الأفضل وينتقي الأقدر، فكيف بالله العليم الحكيم، والرسول العظيم صلوات الله وسلامه ؟

إن الرسول صلوات الله وسلامه كما يلزم أن يكون أفضل من جميع الناس، كذلك الإمام عليه السلام، إذ لا فارق بينهما من حيث القدوة والأسوة، وقديماً قالوا: (يقبح ترجيح المفضل على الفاضل).

أهل ترى أن يعين وزير التربية والتعليم - مثلاً - مديراً لمدرسة ابتدائية لا تحتوي على أكثر من مائة طالب، شخصاً مفضولاً، وبإمكانه أن يعين من هو أقدر منه وأفضل؟!؟

أهل يظن أحد: أن يكون الله الحكيم ورسوله العظيم صلوات الله وسلامه، أقل تفكيراً عن وزير عادي؟

كلا، لا يخرجان عن هذا القانون الذي يعضده العقل، ويؤيده العرف والعادة.

إذن: فتعيين الأفضل واجب، لأمرين:

١: استفادة الأفضل - مع الإمكان - متعين عقلاً وعادة.

٢: قبح ترجيح المرجوح على الراجح: بأن يعين مفضل أميراً وإماماً على

الفاضل ، وتلمح إلى هذه الحقيقة آيات في القرآن الكريم :
قال تعالى : ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(١).

وقال سبحانه : ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

وقال عزوجل : ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾^(٣).

وقال تعالى : ﴿أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾^(٤).

وقال سبحانه : ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٥).

وقال عزوجل : ﴿أَنْتَ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ ...

قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾^(٦).

وقال الإمام الرضا عليه السلام - في وصف الإمام - : «عالم لا يجهل ، راع

لاينكل ... ، إن الأنبياء والأئمة عليهم السلام يوفقههم الله ، ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمه...»^(٧).

وقال عليه السلام - في حديث آخر - : «للإمام علامات : أن يكون أعلم الناس ،

وأحكم الناس ، وأحلم الناس ، وأتقى الناس وأعبد الناس...»^(٨).

(١) سورة يونس : ٣٥.

(٢) سورة الزمر : ٩.

(٣) سورة القلم : ٣٥.

(٤) سورة ص : ٢٨.

(٥) سورة البقرة : ٣١.

(٦) سورة البقرة : ٢٤٧.

(٧) معاني الأخبار : ص ١٠٠ باب معنى الإمام المبين.

(٨) الخصال : ص ٥٢٧ ح ١ باب للإمام عليه السلام ثلاثون علامة. ومعاني الأخبار : ص ١٠٢ ح ٤ باب معنى الإمام المبين.

العصمة

ومن أبرز صفات النبي والإمام عليهما السلام : العصمة.

وهي : ملكة راسخة ، وقوة في العقل : تمنعان النبي والإمام عن أن يأتي بما يخالف الله في صغير وكبير ، عن عمد أو لا عن عمد..

وهذه لا تبلغ حد الإلحاح والاضطرار ، فالنبي والإمام لا يعصيان ، بالاختيار والمشية وإن تمكنا منها ، إذ معرفتهم بالله بلغت حداً لا يعقل معه من أن يذهلون عنه طرفة عين فيصدر منهم خلاف ، فهم عليهما السلام في ذلك كالشخص العاقل الذي لا يُعمي عينيه ، ولا يقطع ودجه ، أو كالأم الرؤوف التي لا تقتل طفلها وإن تمكنت من ذلك.

وهذا مثال تقريبي ، وإلا فالنبي والأئمة عليهم السلام فوق ذلك.. وفوق ذلك. إن العصمة لو انتفت في سفراء الله ، قلَّ اعتماد الناس عليهم ، ولم يحصل الوثوق بالشرائع ، وصاروا محل إنكار العامة ومورد عتابهم ، وبذلك يسقط محلهم عن القلوب.

بالإضافة إلى أنه يقبح من الله الحكيم أن يلقي أزمة الخلق في يدي من لا يؤمن خلافة ، فيزيد وينقص ويحكم بالهوى ، والحال أنه تعالى قادر على أن يعين المعصوم الذي لا يخطئ ولا ينسى.

يقول القرآن الحكيم في وصف نبيه ﷺ : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۖ ﴾^(١).

وقال تعالى : ﴿ سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَىٰ ۖ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾^(٢).

واستثناء المشيئة إعلام بأن الأمر لا يخرج عن إرادة الله ، فيإمكانه تعالى أن

(١) سورة النجم : ٣-٤.

(٢) سورة الأعلى : ٦-٧.

يجعل النبي كسائر الناس يسهو وينسى.

ويقول القرآن الحكيم في وصف نبيه ﷺ والأئمة عليهم السلام: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(١).

والإرادة (ها هنا)، ليست إرادة عادية تشريعية، وإلا فلا اختصاص لها بالنبي والأئمة عليهم السلام، فإن الله يريد الطهارة والطاعة من الناس جميعاً^(٢).

قال الإمام الصادق عليه السلام: «الأنبياء وأوصيائهم، لا ذنوب لهم، لأنهم معصومون مطهرون»^(٣).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنما الطاعة لله عز وجل ولرسوله ولولاه الأمر، وإنما أمر بطاعة أولي الأمر، لأنهم معصومون مطهرون لا يأمرهم بمعصيته»^(٤).

وعن ابن عباس: قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنا وعلي والحسن والحسين والتسعة من ولد الحسين مطهرون معصومون»^(٥).

وقال الحسين الأشقر: قلت لهشام بن الحكم: ما معنى قولكم: إن الإمام لا يكون إلا معصوماً؟

فقال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن ذلك فقال: «المعصوم، هو الممتنع بالله من جميع محارم الله، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾»^(٦) ^(٧).

(١) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٢) بل هي إرادة تكوينية، بمعنى أن الله جعلهم عليهم السلام معصومين.

(٣) الخصال: ص ٦٠٨ خصال من شرايع الدين.

(٤) علل الشرائع: ص ١٢٣ باب العلة التي من أجلها أمر الله تعالى بطاعة الرسول ﷺ والأئمة عليهم السلام ح ١.

(٥) عيون اخبار الرضا عليه السلام: ج ١ ص ٦٤ باب النصوص على الرضا عليه السلام بالامامة... ح ٣٠، وكمال

الدين: ص ٢٨٠ باب ما روي عن النبي ﷺ في النص على القائم عليه السلام ح ٢٨.

(٦) سورة آل عمران: ١٠١.

(٧) معاني الأخبار: ص ١٣٢ ح ٢ باب معنى عصمة الإمام عليه السلام.

من يعين الإمام عليه السلام ؟

الإمام عليه السلام - كما تقدم - يجب أن تتوفر فيه الصفات السابقة ، التي منها العصمة ، والعصمة أمر خفي لا يطلع عليها إلا الله ، إذ حسن الظاهر لا يكفي ، فكم ينقلب الخير حقيقة شريراً ، والمصلح مفسداً .

ألم يكن (بلعم)^(١) من الأتقياء حتى صار قابلاً لاسم الله الأعظم ، ثم انقلب حتى صار من الأشقياء ؟ كما ورد ذلك في القرآن الحكيم :

قال تعالى : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * ... فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ﴾^(٢) .

إذن ، فالإمام عليه السلام لا يتمكن من تعيينه إلا الله العالم بالضمائر ، الذي يعرف المفسد من المصلح ، والنبي ﷺ إنما يعين الإمام عليه السلام من قبل الله تعالى ، لا من قبل نفسه .

ألم يك موسى عليه السلام وهو نبي عظيم من أولي العزم ، اختار سبعين رجلاً لميقات الله ، فارتدوا وكفروا ؟ كما نقله القرآن الحكيم : ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ...﴾^(٣) .

(١) بلعم بن باعورا ، من علماء بني إسرائيل ، وكان في حضرته اثنا عشر ألف محبرة يكتبون عنه العلم ، مع ما آتاه الله من الآيات المتعددة التي كانت من جملتها انه كان بحيث اذا نظر يرى العرش ، وكان أعطي الاسم الأعظم فكان يدعوه فيستجاب له.. راجع منية المريد : ص ١٥١ فصل في أن الغرض من طلب العلم هو العمل . وقصص الأنبياء للراوندي : ص ١٧٣ فصل ١٢ في حديث بلعم بن باعورا . وتفسير القمي : ج ١ ص ٢٤٨ .

(٢) سورة الاعراف : ١٧٥ .

(٣) سورة الاعراف : ١٥٥ .

وبين في آية أخرى سبب الرجفة: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(١).

وقال بعض الناس: إن النبي ﷺ لم يُعين أحداً، وهذا خلاف ما تواتر عنه ﷺ من التعيين - كما سيأتي - .

وهنا حجة ظريفة ساقها الإمام الرضا عليه السلام لمن أنكر ذلك: قال أبو الحسن الرضا عليه السلام - لابن رامين الفقيه - : «لما خرج النبي ﷺ من المدينة ما استخلف عليها أحداً؟

قال: بلى، استخلف علياً عليه السلام.

قال عليه السلام: وكيف لم يقل لأهل المدينة اختاروا فإنكم لا تجتمعون على الضلال؟

قال: خاف عليهم الخلف والفتنة.

قال عليه السلام: فلو وقع بينهم فساد لأصلحه عند عودته.

قال: هذا أوثق.

قال عليه السلام: فاستخلف أحداً بعد موته؟

قال: لا.

قال عليه السلام: فموته أعظم من سفره، فكيف آمن على الأمة بعد موته ما خافه في سفره - وهو حي - عليهم؟^(٢).

ثم إن النبي ﷺ قد عين الإمام بعده مرات ومرات.

وكان أولها يوم أُنذر عشيرته، كما ذكره الطبري^(٣).

(١) سورة البقرة: ٥٥-٥٦.

(٢) شبهه في المناقب: ج ١ ص ٢٥٨.

(٣) راجع تاريخ الطبري: ج ١ ص ٥٤٢ ط ١ بيروت ١٣٠٧ دار الكتب العلمية.

وابن أبي الحديد^(١)، وسائر المؤرخين.

وعن علي عليه السلام: «لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٢) دعاني رسول الله ﷺ فقال: يا علي! إن الله أمرني أن أنذر عشيرتك الأقربين، فضقت بذلك ذرعاً، وعرفت أنني متى أباديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره. فقامت عليه حتى جاء جبرئيل فقال: يا محمد! إنك إن لا تفعل ما تؤمر به، يعذبك ربك.

فاصنع لنا يا علي صاعاً من الطعام، واجعل عليه رجل شاة، واملاً لنا عساً من لبن، ثم اجمع لي بني عبد المطلب، حتى أكلهم وأبلغهم ما أمرت به. ففعلت ما أمرني به، ثم دعوتهم.. ثم تكلم رسول الله ﷺ فقال: يا بني عبد المطلب، إني والله ما أعلم شاباً في العرب، جاء قومه بأفضل مما جئتمكم به، إني قد جئتمكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأيكم يؤازرنني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟. قال: فأحجم القوم عنها جميعاً! وقلت: أنا يا نبي الله، أكون وزيرك عليه، فأخذ ﷺ برقبتي ثم قال:

إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا»^(٣).

وكان آخرها يوم الغدير، وحديث الغدير فوق التواتر^(٤)، ونقل العبارة عن الطبري:

(لما نزل النبي ﷺ بـ «غدير خم» في رجوعه من حجة الوداع وكان في وقت الضحى وحر شديد، أمر بالدوحات فقمّت، ونادى: الصلاة جامعة،

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٣ ص ٢١٠ باب ٢٣٨.

(٢) سورة الشعراء: ٢١٤.

(٣) راجع شواهد التنزيل: ج ١ ص ٤٨٥ ح ٥١٤، وتفسير الفرات: ص ٣٠١ ح ٤٠٦.

(٤) راجع كتاب الغدير: المجلد الأول للعلامة الأميني (قدس سره) وفيه إثبات أن حديث الغدير متواتر بل فوق حد التواتر.

فاجتمعنا، فخطب خطبة بالغة ثم قال: إن الله تعالى أنزل إليّ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١)، وقد أمرني جبرئيل أن أقوم في هذا المشهد، وأعلم كل أبيض وأسود: إن علي بن أبي طالب وصيي وخليفتي والإمام من بعدي. فسألت جبرئيل أن يستعفيني لي ربي، لعلمي بقلّة المتقين وكثرة المؤذنين لي.. فلم يرض الله إلا بتبليغي فيه.

فاعلموا معاشر الناس ذلك، فإن الله قد نصبه لكم ولياً وإماماً، وفرض طاعته على كل أحد، ماض حكمه، جائز قوله، ملعون من خالفه، مرحوم من صدّقه، اسمعوا وأطيعوا، فإن الله مولاكم، وعلي إمامكم، ثم الإمامة في ولدي من صلبه إلى يوم القيامة..).

وبين هذين الموقفين ألع عليه السلام إلى ذلك، صريحاً وإشارة، في مواضع عديدة يذكرها مؤرخو المسلمين.

وقد أراد عليه السلام يوم مفارقتة الدنيا أن يكتب ذلك، فحيل بينه وبين الكتاب^(٢).

(١) سورة المائدة: ٦٧.

(٢) عن عبد الله بن عباس قال: (لما حضرت النبي عليه السلام الوفاة وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، فقال رسول الله عليه السلام: هلموا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فقال: لا تأتوه بشيء فإنه قد غلبه الوجد وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما كثر اللغط والاختلاف قال رسول الله عليه السلام: قوموا عني...)، راجع بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٤٧٤ ب ١ ح ٢٢.

وعن ابن عباس أنه قال: يوم الخميس وما يوم الخميس ثم بكى حتى بل دمه الخصال فقال: إشتد برسول الله عليه السلام وجعه يوم الخميس فقال: (أتوني بدواة وكفّ أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا: هجر رسول الله عليه السلام. وفي رواية مسلم والطبري قالوا: (إن رسول الله يهجر...)).

والبخاري ومسلم في خبر أنه قال عمر: (النبي قد غلب عليه الوجد وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله فاختلف أهل ذلك البيت واختصموا، منهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله كتاباً لن تضلوا بعده،

كما أن النبي ﷺ صرح بأسماء الأئمة عليهم السلام - الذين تقدم ذكرهم - في حديث: (جابر) ^(١) .. وغيره ^(٢).

ونص كل إمام على الإمام من بعده: نص عليّ عليه السلام على الحسن، والحسن على الحسين، والحسين على زين العابدين، وزين العابدين على الباقر، والباقر على الصادق، والصادق على الكاظم، والكاظم على الرضا، والرضا على الجواد، والجواد على الهادي، والهادي على العسكري، والعسكري على

ومنهم من يقول القول ما قال عمر، فلما كثر اللغط والاختلاف عند النبي قال قوموا، فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغظهم). راجع بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٤٧٢ ب ١ ح ٢١.

(١) عن سيدنا أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام قال: (قال أبي جابر بن عبد الله: لي إليك حاجة أريد أن أخلو بك فيها، فلما خلا به في بعض الأيام قال له: أخبرني عن اللوح الذي رأيته في يد أمي فاطمة عليها السلام، قال جابر: أشهد بالله لقد دخلت على فاطمة بنت رسول الله ﷺ لأهنيها بولدها الحسين عليه السلام فإذا بيدها لوح أخضر من زبرجدة خضراء، فيه كتاب أنور من الشمس وأطيب رائحة من المسك الأذفر، فقلت: ما هذا يا بنت رسول الله؟ فقالت: هذا لوح أهداه الله عز وجل إلى أبي، فيه اسم أبي واسم بعلي واسم الأوصياء بعده من ولدي، فسألته أن تدفعه إليّ لأنسخه، ففعلت، فقال له: فهل لك أن تعارضني بها، قال: نعم، فمضى جابر إلى منزله وأتى بصحيفة من كاغذ، فقال له: انظر في صحيفتك حتى أقرأها عليك فكان في صحيفته مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله العزيز العليم أنزله الروح الأمين إلى محمد خاتم النبيين، يا محمد عظم أسمائي واشكر نعمائي ولا تجحد آلائي ولا ترج سواي ولا تحش غيري، فإنه من يرج سواي ويحش غيري أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين، يا محمد إني اصطفتك على الأنبياء وفضلت وصيك على الأوصياء، وجعلت الحسن عيبة علمي من بعد انقضاء مدة أبيه، والحسين خير أولاد الأولين والآخرين فيه تثبت الإمامة، ومنه يعقب علي زين العابدين، ومحمد الباقر لعلمي والداعي إلى سبيلي على منهاج الحق، وجعفر الصادق في القول والعمل، تنشب من بعده فتنة صماء فالويل كل الويل للمكذب بعدي، وخيرتي من خلقي موسى، وعلي الرضا يقتله عفريت كافر بالمدينة التي بناها العبد الصالح إلى جنب شر خلق الله، ومحمد الهادي إلى سبيلي الذاب عن حريمي والقيم في رعيته حسن أغر يخرج منه ذو الاسمين علي والحسن، والخلف محمد يخرج في آخر الزمان على رأسه غمامة بيضاء تظله من الشمس ينادي بلسان فصيح يسمعه الثقلين والخائفين، هو المهدي من آل محمد، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً). بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٢٠٢ ب ٤٠ ح ٦.

(٢) راجع للتفصيل كتاب (إحقاق الحق) و(دلائل الصدق) و(الغدير) و(المراجعات) وغيرها.

المهدي (عليهم السلام).

ويمجدها الباحث في كتب العامة والخاصة.

بالإضافة: إلى أن هؤلاء الأئمة عليهم السلام كانوا أعلم الناس، وأورعهم، وأفضلهم، وأتقاهم، وأجمعهم لمحاسن الصفات، وأبعدهم عن الدنيا. كما يذكره المسلمون عامة.. والأفضل يجب أن يكون هو المقدم.

الإمام الغائب

يعتاد الناس بإنكار ما لا يوافق مشاعرهم، وإن قام له ألف دليل. وقد يكون لهم بعض الحق في ذلك إن لم يكونوا رأوا كثرة أخطائهم. أما وهم يرون كل يوم خطأً بل أخطاءً، فالعذر غير مقبول.

لقد سبق وأن تحدث القرآن عن بساط سليمان عليه السلام الذي كان يطير في الهواء ﴿غُدُوَهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ﴾^(١)، فكان الإذعان به نصيب المتدينين، أما المتنورون!! فهي عندهم خرافة.

حتى شقت الطائفة عباب الهواء، ودوت أصواتها في الآذان.. فإذا هم حيارى لا يجدون لتكذيبهم جواباً.

وقد سبق أن تحدث القرآن عن بقاء الروح، فأقام مقلدة الغرب الدنيا وأقعدوها على المسلمين وقالوا: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾^(٢)، إلى أن وجد علم التحضير طريقة إلى الأدمغة.. فإذا هم يضعون الأيدي على الأفئدة، ويخضعون لجلال القرآن وعظمته.

وقد سبق أن تحدث القرآن عن بقاء نوح عليه السلام: ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ

(١) سورة سبأ: ١٢.

(٢) سورة الفرقان: ٥.

عَاماً ﴿١﴾ فقال المثقفون : إنه خرق لنظام الطبيعة ، لا يكون أبداً ، حتى وضع علم الطب مفتاح تطويل العمر بيد الإنسان ، أو كاد أن يضع ، فطأطئوا الهام وأذعنوا بصدق الكلام.

وإذا قلت لهم : إن المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) - كما ينبتنا أحاديث النبي ﷺ والأئمة (عليهم الصلاة والسلام) - ولد سنة مائتين ونيّف وخمسين من الهجرة ، ويبقى إلى أن يظهره الله تعالى ، فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً^(٢).

قال مسطول^(٣) : إنه لا يكون.

وقال مافون^(٤) : إن هو إلا خرافة ورجعية.

وقال أوسطهم طريقة : هو من مخلفات الأمم المظلومة تحته أفكار المضطهدين ، فهو كالزائدة الدودية في الإنسان !.

ولكن الحمد لله رب العالمين الزائدة الدودية - المشبه بها - رفع العلم نقاب أوهام داروين^(٥) والمهوسين^(٦) حوله ، بالنسبة إليها ، فهي ضرورة بشرية خلقها العليم الحكيم ، لا زائدة دودية من مخلفات القروذ : الأجداد !!..

(١) سورة العنكبوت : ١٤ .

(٢) راجع بحار الأنوار : ج ٣٦ ص ٢٠٢ ب ٤٠ ح ٦ .

(٣) سَطْلَه الدَّوَاء : أسكره ، والمسطول : الأبله .

(٤) المافون : ضعيف الرأي .

(٥) داروين ، تشارلز روبرت (١٨٠٩ - ١٨٨٢ م) صاحب النظرية الداروينية في أصل الأنواع وتطورها ، وهو يقول بأن الكائنات الحية تنزع إلى إنتاج مواليد تختلف اختلافا طفيفا عن آبائها ، وبأن عملية الاصطفاء الطبيعي (را.) تفضي إلى بقاء الأصلح أو الأكثر تكيفا مع البيئة ، وبأن ذلك كله يؤدي في نهاية المطاف إلى ظهور أنواع جديدة لم تكن معروفة من قبل ، وقد بسط داروين مذهبه هذا في كتابه (في أصل الأنواع) on the origin of species. الذي أثار عند نشره عام ١٨٥٩ م عاصفة في الدوائر العلمية والفلسفية والدينية جميعاً ، فهلل له جمع وسفهه آخرون وقد وجهت له حملات نقدية كثيرة حتى الآن. للتفصيل انظر كتاب (بين الإسلام وداروين) للإمام الشيرازي رحمه الله .

(٦) لغة عامية - محلية دارجة في الوسط الشعبي العراقي - تعني : المصنفين تأييداً له .

الإمام المنتظر (عجل الله فرجه الشريف) حق، وسيظهر، ويملاً الدنيا عدلاً، وإن فنده قوم، واستهزأ به أقوام.

إنها عادة بشرية:

كلما ضاق أفق فكره، قلّت معلوماته وكثرت هوساته.

سئل سقراط^(١) - وهو على فراش الموت -: ما علمت في دهرك الطويل، وتجاربك الغزيرة؟

قال: علمت أنني لم أعلم شيئاً!

ويأتي فتى قرن العشرين، وكأنه يعلم كل شيء عن: الأرض والسماء، والماء والهواء، ومفاليق الكون، ومقادير الأشياء، والجسد والروح، والصلاح والفساد، ومفاتيح الغيب...!!

وظهور الإمام المهدي صاحب الزمان (عجل الله فرجه الشريف) مما نقلته السنة في روايات كثيرة عن النبي ﷺ^(٢) وكذلك الشيعة عن النبي ﷺ وعن الأئمة عليهم السلام في أحاديث^(٣) يشكل إحصاؤها.

(١) سقراط (٤٧٠-٣٩٩ قبل الميلاد) فيلسوف يوناني، يعتبر هو وأفلاطون وأرسطو واضعي أسس الثقافة الغربية، قال: بأن الفضيلة هي المعرفة، ولم يترك أي أثر مكتوب، كان من دأبه التجول في الشوارع والأسواق يتحدث إلى الشبان والشعراء والسياسيين عن الخير والشر، سجن وهو في السبعين وحكم عليه بالموت بتهمة (إفساد شبان أثينا) وقد توسل إليه أصدقاؤه أن يفر من السجن ناجياً بنفسه فأبى وشرب السم في حضرته، وهو صاحب القول المأثور: (إعرف نفسك).

(٢) ومن رغب في الاطلاع فليراجع كتاب (المهدي ﷺ) للحجة السيد صدر الدين، وكتاب (المهدي ﷺ) في السنة) لآية الله العظمى السيد صادق الشيرازي...

(٣) راجع (بحار الأنوار) و(عوامل العلوم) و(كمال الدين) وغيرها..

الفصل الخامس : المعاد

الروح والجسد

للمرء في هذه الحياة: روح وجسد، الروح تدرك، والجسد يتحرك.
والجسد كثوب للروح، فالروح هي التي تبصر وتسمع، وتذوق وتلمس،
وتشم وتفكر.. والجسد كالآلة.

فكما أن النجار لا يقطع الخشب إلا بالآلة، والقاطع هو النجار، وكما أن
الحداد لا يصنع الماكنة إلا بالماشة.. والصانع الحداد.. كذلك الروح تفعل،
والجسد كالآلة.

وللروح غير هذه الإدراكات الخمسة الظاهرة أعمال أخرى: كالتفكير
والتعقل..

والروح حقيقتها مجهولة، وإن عرفنا آثارها، وقد عجز العلم مع هذا التقدم
المدesh عن اكتناهاها.

وقد أشار القرآن الحكيم إلى غموض هذا المخلوق، بقوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ
عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١).

وقد ارتكس بعض الماديين في الجهل الشائن: فزعم أن ليس هناك أمر وراء
المادة، والروح إنما هي من آثاره، وأقاموا لذلك شواهد، زاعمين أنهم بذلك
تحرروا عن توابع الروح، لكن كشف ستار جهلهم استحضر الأرواح، الذي
أصبح من العلوم الشائعة، من نصف قرن تقريباً.

وقد حاولوا أول مرة خنق أصوات المكتشفين، بالتهريج و...، لكن خاب
أملهم، وخنعوا أخيراً لهذه الحقيقة البارزة، وقد تحشدت الصحف والمختبرات
قواها لدعم هذه الحقيقة، حتى أدت الملايين من الناس صدق المدعى.

(١) سورة الإسراء: ٨٥.

وما كتاب: (على حافة العالم الأثري) إلا كقطرة بالنسبة إلى بحر من هذا العلم العجيب.

وعلى أي: فالروح موجودة، وهي تدير هذا البدن، إدارة الحكومة للمملكة.

وهي وسيعة جداً، وليست كضيق البدن في الحركة والسكون، فقد تذهب إلى بلاد بعيدة، وترى أشياء عجيبة، والبدن ملقى بين يدي المحضر.

وليست الرؤيا إلا لمحة من أشعة الروح، وإن لم يكتشف العلم حقيقة الرؤيا أيضاً إلى يومنا هذا.

وليس العامل لإنكار الروح، الذي يزعمه، أو يتزعمه بعض الناس، إلا أحد أمرين:

١: ضيق الفكر، وقلة الثقافة.

٢: الخلاص من تبعات القول بوجود الروح.

وكلا الأمرين آفة ومرض، يجب مكافحتها، كما تكافح الجرائم.

فإن قلة الثقافة في عصر العلم، جريمة لا تغتفر.

والتخلص من تبعات حقيقة معلومة لها آثارها الحسنة أو السيئة، ليس تخلصاً في الحقيقة، بل هو زعم سينال الزاعم وبال أمره، وتكون عاقبة أمره خسراً، فهو كمن ينكر إحراق النار ثم يلقي نفسه فيها، أو يزعم أن السم لا يؤثر - مرضاً أو هلاكاً - فيشربه، فيلزم على كل أحد أن يلزم على يديه لكي لا يلقي بنفسه إلى التهلكة بأهوائه وشهواته.

وربما عذرنا من ينكر الروح، لو كان الأمر مجرد إخبار الصادقين من الأنبياء والصلحاء عليهم السلام، وقبلنا عذر المنكر الزاعم: أنه لا يعترف إلا بالمحسوس - وإن كان لا مجال للإنكار.. أما وقد دخل الأمر في نطاق المحسوس، وخضع أمام مدرسة التجريب.. فلا عذر لمنكر.

بين العالمين

للإنسان سفر طويل ذو مراحل :

يسافر جسمه من الأرض ، ثم من النبات ، ثم من الحيوان ، حتى ينعقد نطفة .

ثم يسافر إلى الرحم ، فهو علقه ، ثم مضغة ، ثم لحم وعظام ، ثم خلق سوي .

ثم يسافر إلى الدنيا ، فهو وليد ، ثم طفل ، ثم يافع ، ثم شاب ، ثم كهل وهرم .

ثم يسافر إلى الأرض ثانية ، فيبقى مدة ، حتى يصير تراباً .
هذا سفر جسمه .

أما سفر روحه : فقد خلقت الروح قبل الجسد - كما تنبؤنا الأحاديث ^(١) - .
ثم تتعلق بالجسد - وهو الجنين - ، ثم تصاحبه في دار الدنيا ، ثم تفارقه بعد الموت .

ولا تبطل الروح بعد الموت ، بل تبقى :

إما منعمة ، إن كانت أحسنت في الدنيا .

وإما معذبة ، إن كانت أساءت .

وهذا الدور للروح يسمى : (البرزخ) .

وقد ظهر علم التحضير من هذا الدور للروح المدهش العجيب ، وصدق ما

كان يقوله القرآن والأنبياء ﷺ من ذي قبل :

يقول القرآن العظيم : ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ

(١) مثل ما ورد في عالم الذر .

أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ * فَرَحِينِ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾.

وقال رجل للإمام الصادق عليه السلام: أتتلاشى الروح بعد خروجه عن قلبه، أم هو باق؟ قال عليه السلام: «بل هو باق...» (٣).

وقال حبة العرني: (خرجت مع أمير المؤمنين عليه السلام إلى الظهر، فوقف بوادي السلام، كأنه مخاطب لأقوام، فقامت بقيامه، حتى عييت، ثم جلست حتى مللت، ثم قمت حتى نالني ما نالني أولاً، ثم جلست حتى مللت، ثم قمت وجمعت ردائي، فقلت: يا أمير المؤمنين! إنني قد أشفقت عليك من طول القيام، فراحة ساعة، ثم طرحت الرداء ليجلس عليه.

فقال عليه السلام: «يا حبة! إن هو إلا محادثة مؤمن، أو مؤانسته».

قال: قلت: يا أمير المؤمنين! وإنهم لكذلك؟

قال عليه السلام: «نعم، ولو كشف لك لرأيتهم: حللاً حلقاً، محتبين يتحادثون».

فقلت: أجسام أم أرواح؟

فقال: «أرواح» (٤).

يقول علماء التحضير: إنهم سألوا عن الروح الذي حضروه: هل إنكم هناك في سعادة أو بؤس؟ فأجاب: بأنهم مختلفة المراتب.

(١) سورة البقرة: ١٥٤.

(٢) سورة آل عمران: ١٦٩-١٧١.

(٣) الاحتجاج: ص ٣٥٠، احتجاج أبي عبد الله الصادق عليه السلام في أنواع شتى من العلوم...

(٤) الكافي: ج ٣ ص ٢٤٣ ح ١، وبحار الأنوار: ج ٦ ص ٢٦٧ ب ٨ ح ١١٧.

وسألوا: هل هناك ماء وشجر، وروض وقصر؟ فأجاب: إنها موجودة هناك، وأجمل من الدنيا بدرجات. ولكنها ليست مما ألفه الإنسان في هذه الحياة، بل قسم لم يشاهده الإنسان.

وبعد أن أيد العلم التجريبي هذه الحقائق، لا يحق لأحد أن يقول:

١: نحن لا نرى العقاب والثواب، والخور والقصور، والروض والزهور.

٢: لم يأتنا أحد يخبرنا عن ذلك العالم، حتى نصدقه.

إذ يجيب علم التحضير على الكلامين:

١: إنا رأينا الثواب والعقاب..

٢: أتت الأرواح، وأخبرتنا عن ذلك العالم..

النشأة الأخرى

لم يزل الأنبياء ﷺ والمفكرون، يبشرون الصالحين وينذرون الطالحين بنشأة أخرى، تتشكل فيها محكمة كبرى، فيجازى المحسن بالإحسان ثواباً، والمسيء بالإساءة عقاباً.

ولم يزل الماديون ينكرون ذلك.

والصراع بين الطائفتين وأتباعهم قائم على قدم وساق، من يوم أن سكن الإنسان الأرض إلى هذا اليوم.

وترجع خلاصة حجج الطائفة الثانية إلى:

١: إنا لم نر ميتاً حي بعد ما صار تراباً.

٢: إنا لم نر عالماً آخر.

٣: الروح يعدم، فلا يمكن إعادته.

وهذه الحجج تشبه حجج من كان ينكر (أمريكا) قبل كشفها، أو كان ينكر

إمكان أن يتكلم أحد في شرق الأرض فيسمعه الناس في غربها.. فهي استبعدادات تافهة، لم يقم عليها دليل.

ويمكن الإجابة على هذه الحجج بأنه:

١: رأى كثير من الناس إحياء الموتى: كإبراهيم عليه السلام، وعزير عليه السلام ومناصري عيسى عليه السلام.. وأي فرق بين هذه الإخبارات، وإخبار حوادث التاريخ، التي نصدق بها دون الأولى؟

٢ و ٣: رأى كثير من الناس العالم الآخر، وقد أخبرونا بواسطة التحضير، دع عنك الأنبياء والأئمة والصالحين عليهم السلام..

ولنفرض العالم أمام الله، كمنضدة كيماوي يجمع شتات بعض المعادن ويفرق بين الأجزاء المتباينة، والله أقدر من الكيماوي وأعلم..

وقد نقل الله حجج المنكرين وردّهم في القرآن في عدة آيات:

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مِتَّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا * أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾^(١)؟!

ألم يك تراباً، ثم صار نباتاً، ثم حيواناً، ثم نطفة، ثم إنساناً؟!

إن من يقدر على الابتداء، يقدر على الإعادة.. قال سبحانه: ﴿أَفَعَيِينَا

بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾^(٢) كلا، لا يعي الخالق العظيم.

وقال تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ

وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي

الْقُبُورِ﴾^(٣).

(١) سورة مريم: ٦٦-٦٧.

(٢) سورة ق: ١٥.

(٣) سورة الحج: ٥-٧.

إن الحبة ميتة، والتراب ميت، فمن يحييها في ظلمة التراب الكدر حتى تنبت من كل زوج بهيج؟
أليس هو الله؟

إذن: فما الفرق بين إحياء ميت الإنسان، وميت الحبة؟
قال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾^(١).

يروى أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ وهو يزعم أنه يفحمه، فأخذ عظماً وفته أمامه ﷺ وقال: من يحيي هذا؟!

فأجابه القرآن: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۚ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾^(٢).
وقال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾^(٣).

ثم هل من العدل: أن يُفسد بعض البشر في الأرض، ويهلك الحرث والنسل^(٤)، ثم يموت في كمال العز، ولا يحاسب على ذلك؟

أو هل من العدل: أن يتحمل المصلح أعباء الإصلاح، ويتجرع المرات، ثم يُقتل مظلوماً، فلا يجزى بما عمل؟

إن الآخرة دار جزاء، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۚ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٥).

(١) سورة الواقعة: ٦٢.

(٢) سورة يس: ٧٨-٧٩.

(٣) سورة يس: ٨١.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ سورة البقرة: ٢٠٥.

(٥) سورة الزلزلة: ٧-٨.

النعيم والجحيم

الإنسان مهما يعمل في هذه الدنيا: من خير أو شر، حسن أو قبيح، فإنه يجازى بها في القيامة، وله عليها حفظة من الملائكة يكتبون كل شيء: من طرفه عين، أو استراق سمع، أو تكلم لسان، أو لمس جسم، أو نية قلب.

قال تعالى: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ * اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴿١﴾.

وحين يأخذ الآخذ كتابه، يقول سبحانه: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَوَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ ﴿٢﴾.

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٣﴾.

وقال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِنُونَ﴾ * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٤﴾.

فهناك: جنة نعيم، وحوار مقصورات في الخيام، وولدان مخلدون كأنهم لؤلؤ مكنون، وفاكهة كثيرة، وشراب، ولحم طير مما يشتهون، ورضوان من الله أكبر،

(١) سورة الاسراء: ١٣-١٤.

(٢) سورة الكهف: ٤٩.

(٣) سورة الزلزلة: ٧-٨.

(٤) سورة الروم: ١٤-١٦.

وأصدقاء متقابلون على الأرائك، تعرف في وجوههم نضرة النعيم، دعواهم فيها سبحانهك اللهم، وتحيتهم فيها سلام، لا يرون فيها برداً ولا حراً، ولا موتاً ولا هرمًا، لهم فيها ما تشتهي الأنفس وتلد الأعين، وهم فيها خالدون، ونزع ما في صدورهم من غلٍّ لا يتحاسدون ولا يتباغضون^(١).

وهناك: عذاب وجحيم، ونار وسموم، وطعام من غسلين، وشراب من حميم، وأزواج من شياطين مقرنين، يدعون ثبوراً، يلعن بعضهم بعضاً، لباسهم من قطران، ومكانهم ضيق في أخاديد من النيران، وغضب من الله أكبر، لا يجدون نصيراً ولا ظهيراً، ولا ملجأً ولا مناصاً، ويأتيهم الموت من كل مكان ولكن لا يموتون، وهم في العذاب خالدون^(٢)، لا يموتون فيستريحون، ولا يحيون حياة المنعمين..

ذاك لمن آمن وصدق، وعمل صالحاً، وقال: إني من المسلمين.
وهذا لمن كذب وتولى، وأدبر يفسد في الأرض، وكان من الفاسقين.
إنا قد نتعب أنفسنا، ونروض أجسامنا، فنواصل الدرس في الابتدائية ثم المتوسطة ثم الثانوية، ثم المعهد والكلية.. كي نحصل على شهادة تؤمن بعض الراحة لمستقبل عمرنا، الذي هو على أكثر الفروض خمسون سنة، مع ما في العمر من كدر وآلام ومتاعب ومصاعب..

والتاجر، يتعب ويكدح، ويسهر وينصب، لجمع دراهم معدودة لتأمين مستقبل حياته، كي يكون في راحة عن الفقر..

ثم على تقدير التحصيل تتنابه الهموم، ويصيبه ما يصيب سائر أفراد الإنسان من المرض، والهرم، والغم، والهم..

فلماذا لا نعمل أعمالاً خفيفة - في عمرنا القصير - لراحة طويلة، لا تعرف لها

(١) هذه إشارة إلى الآيات القرآنية التي وردت في نعيم الجنة.

(٢) هذه إشارة إلى الآيات الواردة في عذاب الجحيم.

غاية ، ولا يشوبها كدر؟

ولنفرض : إن ما قاله الأنبياء ﷺ وما دعا إليها كتب السماء ، وأذعن لها كبار أهل الأرض ، ودل عليها شواهد تجريبية - كعلم التحضير - كلها غير معلومة لدينا ، لكن هل لا يكفي احتمال ذلك؟

إن من يدفع مبلغاً في سحبة (يانصيب)^(١) إنما يدفعه رجاء أن يحصل على أضعافه - وإن لم يكن متيقناً - .

فما يمنعنا أن ندفع هذا الثمن من أعمارنا ، لعلنا نحصل ما بشر به وحي السماء؟

ثم ما يضرنا لو لم يكن المجموع مطابقاً للواقع - فرضاً - ؟
إن الخير والشرير يموتان.. فلماذا لا نعمل لمستقبل أفضل؟
وينسب إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام :

قال المنجم والطبيب كلاهما : لم يحشر الأموات ، قلت : إليكما
إن صح قولكما فلست بخاسر ، إن صح قولتي فالخسار عليكما^(٢)



وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

كربلاء المقدسة

محمد بن المهدي الحسيني الشيرازي

(١) لمعرفة الحكم الشرعي لـ (اليانصيب) راجع (الفقه : المسائل المتجددة) للإمام المؤلف رحمه الله .

(٢) ديوان الإمام علي عليه السلام : ص ٣٩٦ .

الفهرس

٣	كلمة الناشر
٥	المقدمة
٧	أصول الدين
٨	الفصل الأول: التوحيد
٥٦	الفصل الثاني: العدل
٦٠	القضاء والقدر
٦٧	الفصل الثالث: النبوة
٧٢	القوانين والدين
٧٨	١: العقيدة
٨١	٢: الفضيلة
٨٣	٣: العمل العبادي
٨٦	٤: الأعمال الأخر
٩٠	ختم الأنبياء
٩٧	محمد ﷺ والقرآن
٩٩	القرآن وسائر الكتب
١٠٢	الفصل الرابع: الإمامة
١٠٤	من هم الأئمة عليهم السلام؟
١٠٧	العصمة
١٠٩	من يعين الإمام عليهم السلام؟
١١٤	الإمام الغائب
١١٧	الفصل الخامس: المعاد
١١٨	الروح والجسد
١٢٥	النعيم والجحيم
١٢٨	الفهرس